

العَرَبِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي اللُّغَاتِ الْجَزَرِيَّةِ¹ "السَّامِيَّةِ"²
اللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ أُنْمُوذَجًا

Arabic and its Impact on the "Semitic" Jazaria Languages
The Hebrew Language as a Model

[10.35781/1637-000-140-003](https://doi.org/10.35781/1637-000-140-003)

العَرَبِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي اللُّغَاتِ الْجَزَرِيَّةِ¹ "السَّامِيَّةِ"²
اللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ أُنْمُوذَجًا

د. فلاح إبراهيم الفهداوي*

*أستاذ مشارك: في النحو والصرف - عضو فريق بحث اللسانيات المعرفية

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر - ص.ب 2713-الدوحة-قطر

fnaseef@qu.edu.qa

الملخص:

قوة التأثير حسب قوة كل لغة وامتلاكها لعوامل
التأثير السابقة.

وقد كان للغة العربية تأثير كبير على مجموعة
كبيرة من اللغات قديماً وحديثاً وبجميع الأسباب
التي ذكرناها، نحو: اللغة الفارسية والهندية
والتركية، والإسبانية، والإنجليزية، وغيرها. ومن
هذه اللغات التي تأثرت كثيراً باللغة العربية اللغة
العبرية، وليس ذلك بمستغرب فاللغتان العربية
والعبرية تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة ومنطقة

اللغة هي أداة التواصل بين أفراد المجتمع
الواحد، كما أنها أداة للتواصل بين أفراد المجتمعات
المتنوعة التي تختلف لغاتها ولهجاتها. ولكل لغة
نظام صوتي وصرفي ونحوي تتميز به عن اللغات
الأخرى سواء كانت هذه اللغات متجاورة أم غير
متجاورة. واللغات من حيث العموم تؤثر وتتأثر
بعضها ببعض، ولهذا التأثير أسباب وعوامل مختلفة
فمنها، العامل الديني، وعامل المجاورة، والعامل
السياسي، والعلمي، والاقتصادي، والثقافي. وتكون

¹ - اقترح المرحوم الأستاذ طه باقر والأستاذ المرحوم سامي الأحمد من جامعة بغداد أن تسمى هذه اللغات باللغات الجزرية، نسبة إلى شبه جزيرة العرب، وهي تسمية جغرافية تتوافق مع الواقع اللغوي للغات هذه المنطقة؛ ولذا أثرت استعمال هذا المصطلح باعتبار ملائمته للظاهرة اللغوية مع الإشارة إلى المصطلح الآخر باعتبار شهرته.

² - أول من استعمل مصطلح (اللغات السامية) هو المستشرق النمساوي شلوتسر في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة 1781 ب.م، وقد استخلص هذه التسمية من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الواردة في التوراة الذي ينص على: (وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان... وسام أبو كل بني عابر)، يُنظر كتاب "تاريخ اللغات السامية، تأليف الدكتور إسرائيل ولفنسون، الناشر دار كُناشة النواذر، ط: 1، ب. ت، ص: 2. وقبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها اكتسب مصطلح الساميين معنى سياسياً جديداً، حيث أطلق على اليهود خاصة وصارت عبارة العداء للساميين تعني العداء لليهود.

في بلاد الأندلس لإثبات القرابة اللغوية بين العبرية والعربية لما كانت تمثل اللغة العربية من مكانة فكرية وحضارية عالمية. ويُعدّ عمل النحاة اليهود في محاكاة ما قام به علماء اللغة العربية خطوة متقدمة في الدراسات اللغوية المقارنة التي شهدتها العالم، ولا سيما اهتمامهم وتصريحهم بصلاة القرابة القوية بين العربية، والعبرية والآرامية والسريانية، وقد بينت هذه الدراسة مدى تأثير اللغة العربية باللغة العبرية على مستوى التدوين والتقعيد والتفكير اللغوي عند علماء اللغة العبرية. ولم يقتصر تأثير العربية على النحو العبري فحسب، وإنما شمل ذلك جميع الحقول اللغوية الأخرى على مستوى الصوت والصرف، والتركيب، والمعجم، والأدب: نثره، وشعره. ومن الممكن جداً أن تكون المعارف اللغوية العربية التي نضجت في الأندلس وأخذها عنهم علماء اللغة اليهود قد انتقلت إلى ممالك أوروبا الأخرى، نحو: إيطاليا وفرنسا وإنجلترا.

الكلمات المفتاحية: العربية - اللغات - الجزرية

- السامية - العبرية

جغرافية واحدة، واحتكاكهما ببعض قديم جداً؛ لذا كان من البدهي أن تتأثر إحداها بالأخرى. وجاء هذا البحث ليقف على مدى تأثير اللغة العبرية باللغة العربية من حيث مصادر التدوين والتقعيد والمنهج المتبع فيهما، وعلى جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية. وقد فرضت طبيعة البحث التي تتناول الجانب التاريخي المقارن لهاتين اللغتين أن يكون المنهج المتبع فيه هو المنهج التاريخي المقارن الذي يقوم على المقارنة بين لغتين ضاربتين في القدم تنتميان إلى عائلة لغوية، واحدة، ورقعة جغرافية واحدة. وقد توصل البحث إلى نتائج، نذكر منها: إنَّ عمل اللغويين اليهود في اللغة العبرية ولا سيما تطبيقاتها على الكتاب المقدس "العهد القديم" و"التلمود" هو استنساخ لما قام به علماء العربية نحاة ولغويين خدمة للقرآن الكريم. وكانت دوافع الدراسة المقارنة بين اللغة العربية والعبرية دينية بالدرجة الأولى، وقد أعطى هذا السبب للموضوع أهمية كبيرة لهاتين اللغتين الضاربتين في القدم. كما سعى علماء اللغة اليهود بشكل حثيث ولا سيما

Arabic and its Impact on the "Semitic" Jazaria Languages The Hebrew Language as a Model

Dr. Falah Ibrahim Al-Fahdawi*

*Associate Professor of Syntax and Morphology

Member of the Cognitive Linguistics Research Team

Department of Arabic Language - College of Arts and Sciences - Qatar University -

fnaseef@qu.edu.qa

Abstract:

Language is a means of communication between members of a single society. It is also a means of communication between members of diverse societies with distinct languages and dialects. Each language has a phonetic, morphological, and syntactic system that distinguishes it from other languages, whether these languages are contiguous or non-contiguous. Languages, in general, influence and are influenced by each other. This influence has various causes and factors, including religious factors, proximity factors, political factors, scientific factors, economic factors, and cultural factors. The strength of the influence depends on the strength of each language and its ability to combine the aforementioned factors.

The Arabic language has had a significant influence on a wide range of languages, both ancient and modern, for all the reasons we mentioned, such as Persian, Hindi, Turkish, Spanish, English, and others. Among these languages that have been greatly influenced by Arabic is Hebrew. This is not surprising, as Arabic and Hebrew belong to the same linguistic family and geographical region, and their interaction with each other is very old.

Therefore, it was only natural that one would be influenced by the other.

This research aims to examine the extent to which Hebrew has been influenced by Arabic in terms of its sources of codification and grammar, and the methodology used in both, at all levels of the language—phonetic, morphological, and syntactic.

The nature of this research, which explores the comparative historical dimensions of the two languages, necessitated the adoption of the **historical-comparative method**—a methodological framework that relies on systematic comparison between two ancient languages belonging to the same linguistic family and sharing a common geographical and cultural sphere.

The study yielded several significant findings. It established that the work of Jewish linguists on the Hebrew language—particularly their grammatical and philological analyses of the *Hebrew Bible (Old Testament)* and the *Talmud*—constituted, in essence, an emulation of the efforts undertaken by Arab grammarians and linguists in their service to the **Qur'an**. The primary motivation behind comparative studies between Arabic and Hebrew was **religious**, a factor that

conferred substantial importance upon these two ancient and venerable languages.

Furthermore, Jewish linguists—especially those active in **al-Andalus (Muslim Spain)**—vigorously sought to demonstrate the linguistic affinity between Hebrew and Arabic, motivated by the global intellectual and cultural prestige that the Arabic language had achieved during that era. The endeavors of Jewish grammarians to model their linguistic frameworks on those of Arab scholars represent a pivotal development in the evolution of **comparative linguistics**. Their explicit acknowledgment of the close kinship among **Arabic, Hebrew, Aramaic, and Syriac** languages marks a sophisticated understanding of Semitic linguistic relationships.

This study has revealed the profound influence of Arabic on Hebrew

across various dimensions—**orthographic, grammatical, and theoretical**—shaping the very foundations of Hebrew linguistic thought. The impact of Arabic extended far beyond grammar to encompass all linguistic domains, including **phonology, morphology, syntax, lexicon, and literature**, both in prose and poetry.

It is also highly plausible that the advanced Arabic linguistic scholarship that flourished in al-Andalus—and which was subsequently assimilated by Jewish linguists—later contributed to the intellectual currents of other European realms, such as **Italy, France, and England**.

Keywords: Arabic - Languages - Jazaria - Semitic – Hebrew

المقدمة:

خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان وزوده بفطرة لغوية ميَّزته عن باقي المخلوقات وهذه الفطرة هي قدرته على النطق والكلام والبيان، واللغة هي أداة التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، كما أنها أداة للتواصل بين أفراد المجتمعات المتنوعة التي تختلف لغاتها ولهجاتها.

ولكل لغة نظام صوتي وصرفي ونحوي تتميز به عن اللغات الأخرى سواء كانت هذه اللغات متجاورة أم غير متجاورة. واللغات من حيث العموم تؤثر وتتأثر بعضها ببعض، ولهذا التأثير أسباب وعوامل مختلفة فمنها، العامل الديني، وعامل المجاورة، والعامل السياسي، والعلمي، والاقتصادي، والثقافي. وتكون قوة التأثير حسب قوة كل لغة وامتلاكها لعوامل التأثير السابقة.

وقد كان للغة العربية تأثير كبير على مجموعة كبيرة من اللغات قديماً وحديثاً وبجميع الأسباب التي ذكرناها، نحو: اللغة الفارسية والهندية والتركية، والإسبانية، والإنجليزية، وغيرها. ومن هذه اللغات التي تأثرت كثيراً باللغة العربية اللغة العبرية، وليس ذلك بمستغرب فاللغتان العربية والعبرية تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة ومنطقة جغرافية واحدة، واحتكاكهما ببعض قديماً جداً؛ لذا من البدهي أن تتأثر إحدهما بالأخرى.

وقد جاء هذا البحث ليوقف على مدى تأثير اللغة العبرية باللغة العربية من حيث مصادر التدوين والتفصيل والمنهج المتبع فيهما، وعلى جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية، فقسمت البحث إلى أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصل إليها البحث، وهذه المباحث هي:

1. المبحث الأول: العامل الديني وأثره في تدوين اللغتين العربية والعبرية وتفصيلهما.
2. المبحث الثاني: النحو العبري وتأثره بالنحو العربي.
3. المبحث الثالث: كتاب "اللّمع" وأهميته في الدراسات المقارنة.
4. المبحث الرابع: صناعة المعجم العبري وتأثره بالمعجم العربي.

مشكلة البحث:

أخذت الدراسات اللغوية المقارنة حيّزاً واسعاً في الدراسات اللسانية الحديثة ولا سيما في القرن التاسع عشر والقرن العشرون، وذلك بعد اكتشاف ويليام جونز 1786م صلة القرابة الوثيقة بين اللغة السنسكريتية واللغات اليونانية واللاتينية، الأمر الذي دفعه إلى افتراض وجود لغة أم مشتركة لها وللغات الأوروبية الأخرى، مثل الجرمانية والسلتية، ومن هنا أخذت هذه الفكرة واتسع البحث في قضية تصنيف لغات العالم إلى عوائل وهذه العوائل تنتمي إلى لغة موحدة مشتركة تُسمى "اللغة الأم" أسس بذلك علم اللغة المقارن الحديث.

ويأتي هذا البحث لتبسيط الضوء على أقدم الدراسات اللغوية المقارنة للغتين تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة هما: اللغة العربية واللغة العبرية، إذ بدأت هذه الدراسة المقارنة بوقت مبكر جداً يعود إلى القرن التاسع الميلادي.

إن دوافع هذه الدراسة المقارنة بين اللغة العربية والعبرية كانت دوافع دينية بالدرجة الأولى، إذ تقوم دراسة كلتا اللغتين على أساس دراسة وخدمة الكتب المقدسة التي كُتبت بها تعاليم هذه الديانات عند المسلمين وعند اليهود، وهذا السبب أعطى للموضوع أهمية كبيرة لهاتين اللغتين الضاربتين في القدم.

كما بينت هذه الدراسة المقارنة مدى تأثير اللغة العربية باللغة العبرية على مستوى التدوين والتفصيل والتفكير اللغوي عند علماء اللغة العبرية.

ويمكننا أن نقول إنّ ما قام به علماء اللغة العبرية في الأندلس على وجه الخصوص يُعدّ من أوائل الدراسات اللغوية المقارنة التي وثّقت بشكل مستفيض. فتكون بذلك سبقت ما قام به ويليام جونز بما يقرب من تسعة قرون.

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه الظاهرة امن الدراسات اللغوية.

المبحث الأول

العامل الديني وأثره في تدوين اللغتين العربية والعبرية وتلقيهما

تنتمي اللغتان العربية والعبرية إلى أسرة لغوية واحدة، والتشابه بين هاتين اللغتين من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية كبير¹، وقد انتبه إلى ذلك كبار علماء العربية نحو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ) إذ جاء في كتاب العين: (كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية)²، وقال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: (وقد تفتن الخليل بن أحمد إلى القرابة التاريخية للغوية التي توجد بين اللغات المسماة في عصرنا بـ"السامية"، فقد نُسب إليه هذا القول في كتاب العين: "وكنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية")³. كما انتبه إلى ذلك علماء اللغة العبرية من اليهود في نهاية القرن الثالث والرابع الهجريين.

وقد ارتبطت اللغة العبرية بالديانة اليهودية ممثلة برسالة موسى عليه السلام قبل ظهور الدين الإسلامي بنحو 2200 عام تقريباً، إلا أن اللغة العبرية التي كتب بها الكتاب المقدس لدى اليهود "العهد القديم" لم يكتب لها أن تدون وتحفظ في وقت ظهورها، وإنما بقيت حبيسة المعابد والبيع والكُتُس اليهودية شفوياً، بل إن تدوين "العهد القديم" الذي هو المصدر الأساس للغة العبرية وللديانة اليهودية قد استغرق تأليفه وتدوينه في حالة من الشتات في العالم قرابة ألف عام⁴ من القرن الثالث عشر قبل الميلاد

¹ - يُنظر خصائص اللغة العبرية القديمة: القديمة - الوسيطة - الحديثة، رشاد الشامي، القاهرة 1978م، ص: 67.

² - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال: 205/1، ونقل كلام الخليل كثير من المعاجم بلفظ: (وكنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية)، ينظر الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 2001م: 208/1، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م: 281/1، وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: 3، - 1414 هـ: 316/8.

³ - الحاج صالح، عبد الرحمن، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصحاة، موفم للنشر، الجزائر، 2012: 194.

⁴ - عاش اليهود حالة من الشتات بدأت منذ القرن 18 - 17 عشر قبل الميلاد إلى يومنا هذا إذا ما اعتبر وجودهم في مصر ضمن حالة الشتات هذه، فوقعوا تحت حكم دول وإمبراطوريات متعددة أثرت كثيراً على ديانتهم وثقافتهم ولغتهم، نحو حكم المصريين والآشوريين والبابليين والفريسيين واليونان، والرومان، والمسيحيين، والمسلمين. ويؤرخ اليهود للشتات اليهودي العام بداية السبي الروماني عام 70م، وكان قبله السبي الآشوري عام 721 ق.م، والسبي البابلي عام 586 ق.م. ويُنظر حسن، محمد خليفة، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، إصدار مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، كلية الدراسات الإسلامية جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، ط: 1، 2013: 177 - 178.

إلى القرن الرابع قبل الميلاد¹، وأغلب من يحضر هذه المناسبات الدينية لا يفقهون شيئاً من لغتهم العبرية بل ربما كانت التراتيل التي تؤدي في تلك المعابد تُتلى باللغة الآرامية أو السريانية؛ ولهذا حينما أراد علماء اليهود تدوين لغتهم العبرية وتقعيدها استعانوا بمعرفتهم للغة العربية والآرامية والسريانية والفارسية واليونانية لشرح ما غمض عليهم من اللغة العبرية التي لم تعد لغة الاستعمال اليومي ولا لغة الاستعمال العلمي والثقافي². وذلك بحكم توالي الدول التي سيطرت على بلاد الشام خلال هذه الحقب الزمنية إذ سيطرت هذه الدول يقتضي سيطرت اللغات التي تتكلم بها، على نحو ما كان من سيطرة اللغة الآرامية والفارسية واليونانية والرومانية على هذه المنطقة، وقد أدى ذلك إلى ضياع كثير من التراث العبري لضياع الوعاء الذي استودع فيه؛ ولهذا فإن أهل يهودا الذين تمسكوا بلغتهم بقيت توراتهم محفوظة بين أياديهم، أما الجليليون - أبناء الجليل - الذين لم يتمسكوا بلغتهم فقد أضاعوا توراتهم³.

بخلاف ما كانت عليه لغة الإسلام اللغة العربية التي دُون بها القرآن الكريم كاملاً مشتملاً على القراءات القرآنية التي تمثل بدورها لغات القبائل العربية في حياة النبي محمد ﷺ، في وحدة من الزمان والمكان بعيداً عن التأثيرات السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت محيطة بهذه الرقعة الجغرافية، وقد بقيت لغة العلم والاستعمال اليومي يفهمها جميع العرب إلى يومنا هذا.

إنّ الحالة الفكرية والثقافية لأي أمة من الأمم تتبع الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإذا ما كانت الحالة السياسية والاقتصادية مستقرة وتعيش حالة من الأمن والرفاه فإن الحالة الفكرية ستكون في زهو وتطور وتقدم، وعلى العكس من ذلك إذا ما كانت الحالة السياسية غير مستقرة فإن الحالة الفكرية ستوقف ويصيبها الشلل والتراجع، وإذا ما نظرنا إلى واقع اليهود على مر الزمن فإنهم قد عاشوا لقرون طويلة وإلى يومنا هذا حالة من الشتات وعدم الاستقرار في مكان واحد، وقد انعكس ذلك على واقعهم الفكري واللغوي والحضاري إذ خيم عليهم الركود والانزواء وراء ثقافات الأمم التي عاشوا بين ظهرانيهم ولغاتها، الأمر الذي أدى إلى أنهم لم يكن لهم من تراثهم اللغوي والفكري والحضاري سوى ما كان في كتبهم المقدسة التي جاء بها موسى عليه السلام وهي التوراة بأسفارها الخمسة والتلمود وما دار حوله من شروح وتفسيرات ومناقشات، وعلى تقادم الزمن أصبحت الشقة بعيدة بين هذه الكتب وبين الأجيال اللاحقة؛ لأن هذه الكتب كانت مكتوبة بلغات

¹ - يُنظر تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، للدكتور محمد خليفة حسن، إصدار مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، كلية الدراسات الإسلامية جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، ط: 1، 2013، ص: 177. وينظر بني بكر، عبد القادر، عبد القادر، وشفاء الربابعة ورانيا سعيان ديمار البيضي، أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى وتأثيرها بها، مركز أبو ظبي للغة العربية، ط: 2022م: 167.

² - ينظر هندواوي، إبراهيم موسى، الأثر العربي في الفكر اليهودي، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1963: 9.

³ - يُنظر القرطبي، مروان بن جناح للنحوي اليهودي الأندلسي (ت: 1050م)، اللُمع، قلب حرفه إلى اللغة العربية ونفحه وقدم له د. مولاي المأمون المريني، الناشر: مؤسسة آفاق، 2021: 47/1.

قديمة ولم تعد لغة التداول اليومي أو لغة التعليم العام كالآرامية والسريانية، يُضاف إلى ذلك أن هذه الكتب لم يكن يفهمها ويقرؤها سوى طبقة محدودة جداً من أحبار اليهود وحاخاماتهم. وإذا ما اندثرت لغة قوم فلا يُتوقع أن يكون لهم فكر حضاري أو لسانی يعتدّ به إذ اللغة هي وعاء الفكر وحافظته على مرّ الزمن فإذا ما اندثرت اندثر معها رصيدها الفكري والحضاري.

قال الدكتور إسرائيل ولفنسون: (ليس من شك في أن الاتصال بين بعض القبائل الإسرائيلية الشمالية بفلسطين والآراميين جرى منذ زمن قديم، ولكنه بلغ مبلغاً عظيماً في القرن الثامن ق. م. حين قويت شوكة الآراميين وانتشروا انتشاراً واسعاً في سورية حتى بلغوا نهر الفرات، وقد عظم نفوذهم في فلسطين شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لغتهم تتنافس اللغة العبرية بين أقوامها أنفسهم... من أجل ذلك لا يعجب الباحث حين يجد اللغة العبرية قد أضاعت أغلب مميزاتها القديمة وتغير أسلوبها حتى بدت عليها مسحة آرامية واضحة في كل شيء فقد حل استعمال كثير من الألفاظ الآرامية محل الألفاظ العبرية وتشوه نطق كثير من الألفاظ العبرية)¹.

وقد ظهر الاهتمام باللغة العبرية بعد ما يقرب من ثلاثة قرون من مجيء الإسلام في بغداد على يد الحاخام سعيد بن يوسف الفيومي (ت: 279هـ-942م) رئيس المدرسة اليهودية "صورا" في ذلك الوقت، ويعدّ الفيومي مؤسس النحو العبري الذي سار فيه على خطى النحو العربي الذي بلغ درجة النضج في التدوين والتنظير والتقنين بعد حملة كبيرة بدأت في وقت مبكر بعد نحو 80 سنة من نزول القرآن الكريم على يد أبي الأسود الدؤلي (ت: 68هـ)، وقد طبّق الفيومي كل ما أبدعه علماء المسلمين في اللغة العربية على اللغة العبرية، ثم نشطت حركة تدوين اللغة العبرية وتقعيدها في بلاد الأندلس وكان فيها جالية يهودية عاشت في كنف الدولة الإسلامية هناك، وقد بلغت تلك الحملة ذروتها بمؤلفات الحاخام مروان بن جناح الذي كان متأثراً بالحاخام سعديا الفيومي الذي مدحه في مقدمة كتابه "اللّمع"² إذ قال فيه: (نظر الله وجهه، يجتهد ويبلغ الغاية التي تمكنه، ويسدّد نحو الغرض الذي يبالغه وسعه في تبين اللغة وبسط أصولها وتلخيص فروعها في كثير من موضوعاته، ما كان مخصوصاً بهذا الفن مثل كتابه الموسوم بـ"اللغة" وما لم يكن مخصوصاً به أيضاً)³.

قال الدكتور إسرائيل ولفنسون: (إن الأدب الإسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشاً عظيماً ونهض نهضة قوية واتجه اتجاهًا جديدًا في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ومصر والعراق فقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلدون العرب في الشعر فاقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري

¹ - ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، الناشر دار كُنَاشَة النوادر، ط: 1، ب. ت. ص: 96 - 97.

² - سفرد مجتاً للحديث عن كتاب "اللّمع" لمروان بن جناح، ويعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألّفت في النحو العبري وهو في اللغة العبرية بمثابة كتاب سيبويه في اللغة العربية.

³ - اللّمع: 45/1.

ووزن عبري ثم انطلقوا ينشدون المقاطيع والقصائد حتى أثرت العبرية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيه كثير من اليهود ، ومن أشهر هؤلاء الشعراء يهودا هالوي وابن جبيرول وموسى بن عزرا وهم من يهود الأندلس.

وكذلك ظهرت أساليب جديدة في النثر العبري الفلسفي والتشريعي إذ كان تأثر بالأساليب العربية واقتبس اليهود فيه كثيراً من الاصطلاحات والألفاظ العربية)¹.

الأسباب الداعية لتدوين اللغة العبرية وتقعيدها :

تقدر المدة الزمنية بين موسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ بـ"2200 عام". وفي أثناء هذه المدة الطويلة لم يكن لليهود من التراث اللغوي والفكري إلا ما في التوراة والتلمود وما دار حولهما من جدل ومناقشات وشروح وتفسيرات² ، واستمر الحال على ذلك إلى نهاية القرن الثالث الهجري "التاسع الميلادي" ، وفي بداية القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي" بدأت حملة كبيرة من قبل علماء اليهود لتدوين اللغة العبرية وتقعيدها بلغت ذروتها واستوت على سوقها نهاية القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس الهجري بمؤلفات أبي الوليد مروان بن جناح (ت: 1055م) ، أي إن المدة الزمنية التي بقيت فيها اللغة العبرية دون تقعيد تُقدر بما يقرب من 2500 عام بعد نزول التوراة ، وهي مدة طويلة جداً ومتأخرة قياساً لما قام به المسلمون بعد نزول القرآن إذ لا تتجاوز المدة التي بدأت فيها حملة التدوين والتقعيد 80 عاماً.

وقد عانت اللغة العبرية كثيراً من الإهمال والترك منذ بدايتها تقريباً إلى نهاية القرن التاسع الميلادي ، حيث انتبه علماء اليهود في بغداد والأندلس إلى الطريقة التي تعامل بها المسلمون العرب وغيرهم مع لغة دينهم الجديد وكتابهم المقدس القرآن الكريم ، وكيف أنهم استنفروا همهم على غير مثال سابق لدى الأمم الأخرى لجمع اللغة العربية من القرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف وأشعار العرب وأمثالهم وخطبهم ولهجات قبائلهم في جميع أصقاع الجزيرة العربية خدمة للقرآن الكريم ، فتتبه اليهود إلى ما قام به المسلمون تجاه لغتهم وساروا على الطريقة نفسها فبدؤوا يجمعون اللغة العبرية من كتبهم المقدسة مستنبطين وتفسيرها منها قواعدها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية.

وليس هناك أدل من تأثير اللغة العربية على اللغة العبرية وعلماء اليهود من أن علماء اليهود في القرون الوسطى - من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي - كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية وهي وإن كانت بالخط العبري إلا أن ذلك يُعدُّ مؤشراً واضحاً على سيادة اللغة العربية وسيطرتها على المسرح الثقافي والعلمي في تلك القرون حتى عند أصحاب اللغات والديانات والثقافات الأخرى.

¹ - تاريخ اللغات السامية: 98.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 2.

وفي ذلك يقول مروان بن جراح في كتابه اللّمع مادحاً ما فعله المسلمون مع لغتهم العربية ومعرّضاً بتقصير قومه اليهود مع لغتهم العبرية: (ورأيت القوم الذين نحن في ظهرانهم - يعني المسلمين في الأندلس - يجتهدون في البلوغ إلى غاية علم لسانهم على حسب ما ذكرناه، مما يوجب النظر ويقضي به الحق، وأما أهل لساننا في زماننا هذا، فقد نبذوا هذا العلم وراء أظهرهم، وجعلوا هذا الفن دُبر آذانهم، واستخفوا به وحسبوه لا يُحتاج إليه شيئاً لا يُعرج عليه، فتعروا من محاسنه، وتعطلوا من فضائله وخلوا من زينه وحليه، حتى جعل كل واحد منهم ينطق كيف شاء، ويتكلم بما أراد. لا يتحرّجون في ذلك ولا يشاحون فيه، كأنه ليس للغة قانون يرجع ولا حدّ يوقف عنده، فقد رضوا من اللسان بما يسر أمره عندهم، وقنعوا منه بما سهل مأخذهم وعليهم وقرب التماسه منهم، لا يدققون أصله ولا ينقحون ضرعه، فلهم في اللغة مناكير يغرب عنها وأقاويل يُزهد فيها، ... حتى لقد بلغني من بعض مشاهيرهم أنه يقول عن علم اللغة أنه شيء لا معنى له، وأن الاشتغال به غير مجد ولا مفيد، وأن صاحبه مُعنى وطالبه متعب بغير ثمرة ينالها منه. وإنما استسهلوا ذلك لقراءتهم ما يقرؤونه من الفقه ملحوناً، ودراساتهم ما يدرسونه منه مصحفاً، وهم لا يشعرون، وذلك لعدمهم الرواية وفقدهم الإسناد، ... وأما علم التصريف والتكلم فيه، فهو مما يتشائمون به ويكادون يجعلونه من جملة الزندقة)¹.

وقال أيضاً في أسباب اهتمامه لوضع قواعد اللغة العبرية: (فإنه لما كان ثواب الله تبارك وتعالى أفضل ما يقتنيه المرء في دنياه وأجل ما يكتسبه ويعدّه لأخراه، وكان الوصول إليه لا يتم إلا بالوقوف على ما تضمنته كتب الوحي وامتثال أمرها ونهيها، وكانت هذه الكتب لا يوقف على ما فيها إلا بعلم اللسان، كانت عناية المرء بإتقان هذا العلم وكان سعيه لإدراكه وتجويده وتدقيق معانيه وتعليل لفظه، أوجب وألزم وأشدّ اضطراراً على حسب شرف المطلوب وجلالة قدر المبحوث عنه، وعلى قدر ما صحّ في نفوسنا وتحقق في عقولنا من عظمة منزلها وجلالة قدره عزّ وجلّ. ولم يزل أفاضل أوائنا رضي الله عنهم يجتهدون في ذلك ويحرصون عليه ويحضون على استعماله.

وأما الدليل على أن فهم كتب الوحي وتوفية الشريعة حقّها، لا يكون إلا بجودة فهم علم الأوائل رضي الله عنهم)².

وقال في موضع آخر: (هذا العلم الجليل النظر، العظيم القدر، المؤدي إلى علم كلام الله، المعين على العمل بأمره ونهيهِ، المزلف إلى ثوابه، المبعد عن عقابه، فلما كانت منزلة علم اللسان المنزلة التي وصفناها، وكانت درجته الدرجة التي ذكرناها، اعتقدنا أن نؤلف في ذلك كتاباً نجمع فيه أبواباً تشتمل على أكثر علم اللغة وتحيط بكلّ استعمالها ومجازاتها وأنحاءها، ونودعه أيضاً أكثر أصولها

1 - اللّمع: 44-45.

2 - ينظر اللّمع: 43/1 - 44.

الموجودة عندنا في "المقرا"¹، ونشرح غريبها، ولا ندع شيئاً في "المقرا" شيئاً يُستفاد من المصادر وتصاريح الأفعال، إلا ونودعه كتابنا هذا)².

وقال في موضع آخر: (وما تخفى على أحد من أهل العلم شدة ما يلحقني في تأليف هذا الكتاب من التعب، وكثرة ما يدركني فيه من النَّصب. فليعلم مَنْ كانت هذه صفته أنني لا آتي ذلك فخراً، ولا أقصد به ذكراً، بل إنما غرضي فيه الازدلاف إلى الله والتقرب من ثوابه بما أفيد من معانيه مَنْ جهلها، وأطلع من مغازيه مَنْ نكرها، وأيضاً فليكن عدة لي لزمان الشيخوخة التي قد أشرفنا عليها، وكان يسميها أفلاطون أمَّ النسيان)³.

إن الناظر والمتأمل في كلام ابن جناح لو لم يكن يعلم أنه حاخام يهودي ويعني بكلامه هذا العبرية لظن أنه يتكلم عن اللغة العربية والقرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية. ففي كتابات علماء اللغة العربية - ولا سيما ابن جني في كتابه "اللمع في العربية" و"الخصائص" - ما يكاد يتطابق مع مضمون هذا الذي كتبه ابن جناح، قال أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ) في كتابه "تهذيب اللغة: (إن تعلم العربية التي بها يتوصل إلى تعلم ما به تجري الصلاة من تنزيل وذكر، فرض على عامة المسلمين، وأن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار، وأقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية فإن من جهل سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذهبها، جهل جمل علم الكتاب، ومن علمها ووقف على مذهبها، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع)⁴.

ونخلص من ذلك إلى أن الدافع الأساس لليهود الذين عاشوا بين ظهرائي المسلمين في عاصمة الخلافة العباسية في الشرق بغداد وبلاد الأندلس في الغرب لهذا العمل هو خدمة كتابهم المقدس التوراة والتلمود وديانتهم العبرية، ولولا مخالطة اليهود للعرب وإطلاعهم على نشاطهم اللغوي ومنهجهم في حفظ لغتهم وتقعيدها خدمة للقرآن الكريم لبقية العبرية إلى يومنا هذا لغة طبقة محددة جداً من رجال الدين، ولا سيما أن اليهود متفرقون في شتى أصقاع الأرض ويتكلمون بلغات الدول والبقع الجغرافية التي قطنوا فيها.

وقد تكون الهبة التي قم بها علماء اليهود لتقعيد لغتهم العبرية وتدوينها ردة فعل عصبية لحماية لغة دينهم، في ظل صراعات الديانات التوحيدية - الإسلام والمسيحية واليهودية، والوثنية التي تمثلها

¹ - تطلق كلمة "المقرا" على القراءة في التوراة وتطلق أيضاً على التوراة.

² - اللمع: 49/1.

³ - اللمع: 59/1.

⁴ - تهذيب اللغة: 6/1.

الإمبراطورية اليونانية - التي تقع في ضمن الرقعة الجغرافية التي يعيشون فيها، والتي يشكلون فيها أقلية، ولا سيما بعد مجيء الإسلام وفسح المجال لهم بحرية التدين والتفكير، قال مروان بن جراح في مقدمة كتابه اللّمع: (الحمد لله الذي خلق الإنسان فعلمه النطق، وهده إلى الإقرار بربوبيته والإعلان بوحدانيته، فأوضح له سبيل الهدى واستنقذه من طريق الردى، وخصّ اللغة العبرانية بالفضل والمزّة من بين جميع اللغات، فأنزل بها كتبه المقدسة وأبان بها عن شرائعه المطهّرة، أحمدته حمداً يبلغ رضاه، ويوجب الألفة لديه والقرية من رحمته)¹.

قال الدكتور محمد خليفة: (ازدهرت الحياة اليهودية في البيئة الإسلامية على كل المستويات وبخاصة على المستوى الثقافي الفكري، حيث شارك اليهود مشاركة فعالة في الحياة الثقافية الإسلامية وتأثروا بها، وقلدوا مدارس الفكر الإسلامي في الأدب واللغة، والدين، والأخلاق، والعلوم التجريبية... وبدأ اليهود يدرسون ويتعمقون في فهم النقد الإسلامي لليهودية خاصة النقد القرآني لها... وانطلقوا إلى دراسة كتبهم المقدسة دراسة جديدة واعية بهدف الوصول إلى هذا النسق الديني على مستوى العقيدة والشريعة وكان نبراسهم في هذا القرآن الكريم وأمهات كتب العقيدة والشريعة في الإسلام. وقد سهل لهم ذلك معرفتهم العميقة باللغة العربية وبالثقافة الإسلامية على اختلاف أشكالها)².

¹ - اللّمع: 43/1. إن تأثر ابن جناح بما كتبه علماء المسلمين واضح جداً فلو لم يضع كلمة ابن جناح كلمة "العبرانية" في مقدمته هذه لظن أن هذه المقدمة لأحد علماء المسلمين وهو يتحدث عن اللغة العربية وأهميتها في فهم القرآن الكريم، إذ اعتادوا أن يبدأوا مؤلفاتهم بمثل هذه المقدمات.

² - تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة: 196 - 197.

المبحث الثاني النحو العبري وتأثره بالنحو العربي

رغم قديم اللغة العبرية وعلاقتها بالديانة اليهودية إلا أن النحو العبري بعد ظهور الإسلام وانتشار علوم اللغة العربية ليس كما كان قبله، فقد حدث له طفرة لغوية لم تكن تحدث له لولا ظهور علوم العربية، وهذا ما أكده علماء النحو اليهود أنفسهم في كثير من تصريحاتهم فيكتبهم ولا سيما في القرون الهجرية الأربعة الأولى.

بدايات النحو العبري:

لم تعد اللغة العبرية لغة التخاطب منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبقيت مضمنة في الكتاب المقدس "العهد القديم"¹، وأي عمل لدراسة هذه اللغة كان يجب أن تكون بدايته من دراسة الكتاب المقدس، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى التي اقترنت وارتبط وجودها وبقاؤها بالديانة التي يدين بها الناس والتي نزلت بها كتب مقدسة كاللغة الهندوسية، واللغة السريانية وأخيراً اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم. ولم يتفطن علماء اليهود في أثناء المدة الممتدة لأكثر من 2300 عام إلى وضع قواعد تحفظ وتساعد على فهم اللغة العبرية.

وقد (بدأت الدراسات التلمودية في الأندلس، ولم تلبث هذه البلاد أن أصبحت مركز الدراسات العبرية، حيث نبغ العديد من العلماء والفلاسفة والأدباء، لم تشهد اليهودية لهم نظيراً قبل ذلك التاريخ، أمثال موسى بن عزرا وموسى بن ميمون أبو زكريا حيوج وابن جبيرول)².

و(خلل نحاة الأندلس اليهود تلامذة لمؤلفات النحو العربي ولم يبتعدوا عن التقسيم المعهود لدى النحاة العرب...³؛ لأن اللغة العبرية لم تعد منذ سقوط مملكة إسرائيل في القرن السابع قبل الميلاد لغة تداول حيّ ويومي، إذ انحصر استعمالها على الطقوس الدينية والكتابات اللاهوتية عند صفوة من العلماء ورجال الدين الذين انصبّ همهم وجهدهم للحفاظ على النصّ التوراتي وقراءته بشكل سليم، على ضبط القواعد الصوتية الفونولوجية وتدقيقها، دون الخوض في القواعد التركيبية والصرفية؛ لانعدام الحاجة العملية إليها)⁴.

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 5.

² - يُنظر للمع: 12/1.

³ - دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية، نوات أكاديمية، المملكة المغربية، أكادير، 1985، ص: 262. ويُنظر للمع: 14.

⁴ - للمع: 14/1.

ويُعدّ يهوذا بن داود حيّوج (ت: 1000م) مؤسس منهجية الدراسات النحوية العبرية، إذ اكتشف بأن الفعل في اللغة العبرية له وزن وهو صيغة (فَعَلَ) كما في العربية تماماً، وله كتاب "الأفعال ذوات حروف اللين" وكتاب "الأفعال ذوات الميتلين" و"التنقيط"¹، وقد شكلت مؤلفات داود بن حيّوج هذا أساساً قوياً ونقط انطلاق كبيرة لمروان بن جناح (ت: 1050م).

وكان أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي (ت: 1050) أول من فكر بوضع قواعد للغة العبرية نحواً وصرفاً ولغة ومعاني على غرار ما فعله علماء العربية، وذلك بعد اطلاعه على كتاب سيبويه وعلى الكتب التي ألّفت في القرنين الثاني والثالث والرابع الهجري، فاجتهد مروان بن جناح من أجل أن يجعل للعبرية من القواعد مثل ما كان للعربية. أما قبل هذه المدة فلم يكن للعبرية إلا دراسات مجزأة مقطعة منها ما اهتم بالأصوات ومنها ما اهتم بالنقط ومنها ما اهتم بجزئيات معقدة ومتناقضة².

ألّف مروان بن جناح كتابه "التنقيح" باللغة العربية لكن بحروف عبرية، وقد قسمه إلى قسمين، الأول منهما "اللّمع" وهو قسم خاص بقواعد النحو والصرف، والثاني منهما "الأصول" وهو قسم خاص بالمعجم واللغة، وواضح من تسمية هذين الجزأين مدى تأثر مروان القرطبي باللغة العربية وما كتب بها ولا يخفى أن عناوانات كتبه هي عناوانات لما كتب في العربية خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية، فكتابه "اللّمع" محاكاة لكتاب ابن جني (ت: 392هـ) "اللّمع"، وكتابه "الأصول" محاكاة لكتاب أبو بكر بن السراج (ت: 316هـ) "الأصول في النحو"، وكذلك كتابه "التنقيح" هو محاكاة لكتاب الجوهري (ت: 393هـ) "تنقيح الصحاح"، ومن هذا يتبين لنا مدى إعجاب ابن جناح القرطبي وتمكنه من علوم العربية مما حدا به أن ينهج نهج علماء العربية في تقعيد اللغة العبرية فبنى كتابه على أمّات الكتب المعتمدة في اللغة العربية، نحو الكتاب لسيبويه.

غير أن ابن جناح أعلن - على الرغم من ذلك - عن انتمائه للمدرسة النحوية البصرية، التي يمتلك مفاتيح اشتغالها، وهو القياس الذي يخضع كل متغيرات الثلاثي والرباعي إلى قاعدة واحدة³.

¹ - ينظر اللّمع (الهامش رقم 5): 12.

² - اللّمع: 7/1.

³ - اللّمع: 22/1.

(وكان أول من اعتبر - من نحويي اليهود¹ - أن الجذر هو المصدر وليس الفعل في صيغة غائب الماضي، وهو نفس ما ذهبت إليه مدرسة البصرة في أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه²).³
وقال في كتابه المستلحق: (وأما المصدر فهو عندي بمنزلة الجنس الأعلى، وهو أقدم من الفعل قدمة طبيعية، أعني: الفعل يرتفع بارتفاع المصدر وليس يرتفع المصدر بارتفاع الفعل)⁴.

أوائل النحاة واللغويين اليهود:

ذكرنا سابقاً أن اليهود ولاسيما الطبقة المثقفة منهم لم يكن اهتمام يُذكر باللغة العبرية سوى ما كان من شذرات هنا وهناك في بعض كتبهم الدينية، وهذ الشذرات لا توحى بدراسة معمقة شاملة تعطي تصوراً كافياً عن اللغة العبرية على مستوى الصوت والصرف والتركيب والبلغة، حتى جاء الإسلام وأحدث الثورة الدينية واللغوية والفكرية لدى العرب وغيرهم، وقد اطلع علماء اليهود الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية على دقائق هذه النهضة اللغوية والفكرية، فأعجبوا بها أيما إعجاب، وحذو حذوها، وظهر عندهم علماء جمعوا في جعبتهم المعرفة المعمقة باللغتين العربية والعبرية فعنوا باللغة العبرية عناية فائقة خدمة لكتابهم المقدس ولديانتهم، وذلك بناء على ما كانت عليه الدراسات اللغوية عند المسلمين.

وكان من أوائل اللغويين والنحاة اليهود هم:

1- سعيد بن يوسف الفيومي (ت: 942م) المشهور بـ "سَعْدِيَا": ويُلقب بـ "أبو النحو العبري"، قال عنه ابن النديم (ت: 438هـ): (ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرانية ويزعم اليهود أنها لم تر مثله الفيومي واسمه سعيد ويقال سعديا وكان قريب العهد وقد أدركه جماعة في زماننا وله من الكتب كتاب "المبادئ" وكتاب "الشرائع" وكتاب "تفسير أشعيا كتاب تفسير التوراة")⁵، ولد في مصر سنة 892م، وذهب إلى فلسطين وبابل، ويعد مؤسس ومنشئ النحو العبري، ألف معجماً عبرياً في جزأين، رتب في الأول الكلمات ترتيباً أبجدياً بالنسبة لأوائلها ورتب في الثاني الكلمات

¹ - يعني بذلك أبا الوليد مران بن جناح.

² - ينظر في تحقيق هذه المسألة الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت: ٥٧٧ هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب - ت، مسألة رقم 28: 235/1.

³ - اللُّع: 22/1.

⁴ - المستلحق: 12- 13.

⁵ - ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت: 438هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، ط: 2، 1417 هـ - 1997م: 37.

بالنسبة لحروفها النهائية. كذلك ألف كتاباً آخر في اللغة في اثني عشر جزءاً سماه "كتاب اللغة" كتبه باللغة العربية، ويُعد أول مؤلف منظم في قواعد اللغة العبرية عالج فيه الأبجدية العبرية وخواص حروف الحلق وإبدال الحروف، وإدغامها، وتصريف الأفعال والأسماء.

وقد انتهت الدراسات اللغوية والنحوية للغة العبرية في الشرق بهذه المؤلفات التي ألفها سعديا الفيومي¹.

2- يهوذا بن قريش (ت: القرن 10م): عاش في القرن التاسع الميلادي في شمال أفريقية في الجزائر، وكان عمله منصباً في فقه اللغة المقارن، فقارن العبرية بالآرامية والعربية، وكان الحافظ له على هذه الدراسات إثبات القرابة بين هذه اللغات، وهو بعمله هذا يعد أول باحث في فقه اللغة المقارن، وألف كتاباً سماه "الصلّات" يقصد بذلك الصلات بين اللغات، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام، يحتوي الأولان على قوائم للكلمات العبرية التي لها صلات أو قرابات بالآرامية، بينما خصص الجزء الثالث للكلمات التي لها صلات بالعربية².

3- دوناش بن تميم ويسمى بالعربية عدي بن تميم (ت: القرن 10م): وهو من العلماء المعاصرين ليهودا بن قريش في شمال أفريقية، ويبدو أنه كان متأثراً بما كتبه يهوذا بن قريش فألف كتاباً خليطاً من العبرية والعربية تعرض فيه للصلة بين العربية والعبرية، وقد أحصى الكلمات العربية الفصيحة التي توجد في اللغة العبرية، وكان غرضه من هذا إثبات القرابة بين اللغتين³.

4- مناحيم بن ساروق الطرطوشي القرطبي (ت: 960م): ألف مناحيم أول معجم مكتوب باللغة العبرية وسماه "محبرت" أي: الكراسة، فكان أول من استعمل اللغة العبرية لمعالجة علم اللغة العبرية، في حين كان معاصروه كأمثال سعديا الفيومي ويهوذا بن قريش يستعملون اللغة العربية، وقد شمل هذا المعجم الناحية اللغوية الكاملة للكتاب المقدس، وقدم له بمقدمة طويلة عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة المشرق، وقد قسم مناحيم كتابه إلى طبقتين، هما⁴:

- الأولى: تشتمل على الحروف التي تستعمل كحروف أصلية وزيادات في الصدر والعجز.
- الثانية: للتمييز بين الحروف الأصول والزوائد.

كما اهتم مناحيم بنظرية اشتقاق الأسماء من الأفعال.

5- دوناش بن لبرط (ت: 970م): كان معاصراً لمناحيم، وقد ألف كتاباً سماه "إجابات" تعرض فيه لنقد كتاب مناحيم رد فيه عليه، وهو كتاب مكتوب بأسلوب شعري ويُعد أول شعر لغوي نحوي

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 8.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 9.

³ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 9.

⁴ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 10.

في الأدب العبري، وهو أول من أدخل نظام القافية في الشعر العبري، وأول من ميّز بين الأفعال المتعدية وغير المتعدية، وأول من سمى حروف الأصول بأسماء حروف الكلمة "فعل"، كما قسم صيغ الفعل إلى شديدة وضعيفة، ووضع أقسام الكلمة الثلاثة: الاسم والفعل وكلمات أخرى تشمل ظروفًا وحروف جر¹. ولا ريب أنه في كل ذلك متابع لما كان عليه نحاة العرب، فالمصطلحات التي نظر بها للغة العبرية هي نفسها مصطلحات اللغة العربية.

6- أبو زكريا يهوذا بن داود حيّوج (ت: 1000م): هو مؤسس منهجية الدراسات النحوية العبرية، وقد وضع نهاية لكل فوضى علمية تتعلق بالنحو العبري إذ وضع نحوًا علميًا منظمًا لمعظم أجزاء اللغة العبرية، فصار بذلك مبدع علم النحو العبري المنظم، وتبعه على ذلك تلامذته، وكانت مؤلفاته باللغة العربية، وهي²:

- كتاب (الأفعال ذوات حروف اللين).
- كتاب (الأفعال ذوات المثليين).
- كتاب (التقييط)³.

7- مروان بن جناح القرطبي (ت: 1055م): ولد في قرطبة سنة 990م، ويسمى في العبرية "الحاخام يونا"، عاش مدة من حياته في قرطبة وتأثر بالحياة العلمية والفكرية الإسلامية واليهودية التي كانت مزدهرة بها، ويعد ابن جناح خير من يمثل الناحية اللغوية والدراسات النحوية العبرية في الأندلس، وقد كرّس حياته لدراسة لغة الكتاب المقدس، كما كان ضليعًا باللغة العربية وكل مؤلفاته كانت باللغة العربية إلا إنها بالرسم العبري، ومن أهم مؤلفاته هي⁴:

- كتاب "المستلحق".
- كتاب "، وهو أول عمل لابن جناح، وهو نقد وإضافات لكتابي "الأفعال ذوات المثليين" و"الأفعال ذوات حروف اللين" ليهودا بن حيّوج.
- كتاب "الشوير".
- كتاب "التنبية".
- رسالة "التقريب والتسهيل".
- كتاب "التسوية".

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 11.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 13، وينظر كتاب اللع: 1/ 12.

³ - ينظر كتاب اللع (الهامش رقم: 5) 1/ 12.

⁴ - ينظر اللع: 18/1 - 39.

- كتاب "التقيح"، ويعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات مروان بن جناح، وقد خصصه لدراسة الكتاب المقدس، وهو أول عمل علمي كامل في اللغة العبرية ونحوها ويحتوي على جزأين، هما:
- أ- كتاب "الأصول" وهو معجم كامل للغة الكتاب المقدس وضعه على مثال معجم مناحيم بن ساروق الطرطوشي.
- ب- كتاب "اللمع" في النحو العبري، وهو الكتاب العلمي الكامل للنحو العبري، ويمثل دور ازدهار هذا العلم ونضوجه في إسبانيا الإسلامية، كما يظهر فيه أثر النحو العربي في النحو العبري.
- 8- إبراهيم بن عزرا (ت: 1167م): نشأ في طليطلة وكان متعطشاً للعلم والمعرفة وكثير التجوال بين تلك البلاد، وكان من أبرز النحاة اليهود الذين ألفوا بالعبرية، ويعد أول من نقل المعارف النحوية التي نضجت في الأندلس إلى ممالك أوروبا الأخرى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا، ومن مؤلفاته¹:
- كتاب "الموازنة"، اهتم فيه بشرح المصطلحات النحوية العبرية، وهو مقدمة لدراسة النحو العبري.
- كتاب "في أصول النحو"، وقد بين فيه الوضع الكامل لقواعد النحو العبري.
- كتاب "التوضيح"، في اللغة العبرية.
- كتاب "اللغة الفصحى"، وقد بحث فيه مسائل معينة في النحو. ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه بحث فيه علاقة اللغة العبرية بالعربية والآرامية.
- بعد هذا العرض السريع لأهم نحاة اليهود ومؤلفاتهم، يمكننا القول إن عمل النحاة اليهود في اللغة العبرية ولا سيما تطبيقاتها على الكتاب المقدس "العهد القديم" والتلمود هو استنساخ لما قام به علماء العربية نحاة ولغويين خدمة للقرآن الكريم. وذلك شيء لا يضيرهم فمن الخير أنهم أدركوا أهمية ذلك في ذلك الوقت؛ لأن عملهم هذا يعد خطوة متقدمة في الدراسات اللغوية المقارنة ولا سيما اهتمامهم وتصريحهم بصلاة القرابة القوية بين العربية والعبرية والسريانية والآرامية، إذ ساهمت هذه الدراسات في الوقوف على كثير من أسرار هذه اللغات وإعطاء تصور قريب عن اللغة الأم التي انحدرت منها هذه اللغات في منطقة شبه الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الأهمية التي صارت تحتلها الدراسات اللسانية المقارنة في الدرس اللساني الحديث.
- وليس أدل على تأثير اللغة العبرية بعلوم اللغة العربية من إن مؤلفات اليهود اللغوية والنحوية كانت تكتب وقتئذ باللغة العربية². إذ كان علماءهم في أثناء القرون الأربعة الهجرية الأولى يكتبون

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 15، ورشيد، كفاح صابر، تأثير النحو العربي في علم النحو العبري، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 19، ع 2، 2012م، ص: 254.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 10.

ويؤلفون علومهم عن العبرية باللغة العربية مقلدين لهم سواء أكان ذلك في المنهج أم في استعمال المصطلحات أم المادة العلمية وتقسيمها¹.

المصطلحات النحوية:

لم يستطع نحاة اللغة العبرية من اليهود في القرن الرابع الهجري الخروج من جلباب ما تشبّعوا به من علم اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وأدبها نثرها وشعرها، إذ عاشوا في كنف دولة ضمنت لهم الأمان والحرية والكرامة والعيش الرغيد في مجتمع يتساوى الجميع فيه بالحقوق والواجبات، وهو ما لم يُنح لهم في أي مكان وزمان، وذلك في عهد الدولة العباسية في بغداد عاصمة الخلافة والدولة الأموية في الأندلس²، لذا استعاروا مصطلحات اللغة العربية كما هي واستعملوها لتقعيد لغتهم العبرية، فنجد من مصطلحاتهم³: "النحو" و"الفعل المتعدي وغير المتعدي"، و"الصرف"، و"الاشتقاق"، و"الفعل الثلاثي" و"الفعل الرباعي"، و"المعتل"، و"الصحيح"، و"المضعف"،... إلخ، فضلاً عن تقسيمهم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، بل استعاروا أيضاً المصطلحات الدينية، مثل: كلمة "مصحف"، و"قراءة" أي قراءة الكتاب المقدس، كما استعاروا المصطلحات البلاغية، مثل: "التجنيس"، والمجاز والاستعارة والكناية... إلخ.

والمتمصفح لكتاب مروان بن جناح "اللمع" وطريقة تناوله للموضوعات النحوية يدرك بما لا يدع مجالاً للشك مدى تأثر ابن جناح بالنحو العربي سواء أكان ذلك على مستوى المصطلح أم الأبواب النحوية التي طرقها في كتابه أم طريقة التفكير النحوي عنده.

ظاهرة "الإعراب" في اللغة العربية والعبرية:

إن من الفوارق الكبيرة بين اللغة العربية واللغة العبرية هو ظاهرة "الإعراب" فقد تخففت اللغة العبرية من هذه الظاهرة وتخلصت منها⁴ بعد كانت ظاهرة واضحة في اللغة العبرية الكلاسيكية ولا سيما في نصوص العهد القديم، وهي بهذا خاضعة لقانون تطور اللغات شأنها في ذلك شأن جميع لغات العالم التي لم يُقدر لها من أسباب المحافظة عليها ما كان للغة العربية إذ لا يزال من الله عليها حافظ فتكفل الله عز وجل بحفظها حينما تعهد بحفظ كتابه القرآن الكريم إذ قال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُفُّهَا

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 8.

² - ينظر الشامي، رشاد، خصائص اللغة العبرية القديمة: القديمة - الوسيطة - الحديثة، القاهرة 1978م، ص: 68 - 70. وينظر بوكيل، أمينة، المكونات العربية في الشعر الأندلسي، موسى بن عزرا أنموذجاً، مجلة حوليات التراث، ع13، 2013م، ص: 43.

³ - ينظر اللمع: 23/1.

⁴ - ينظر التأثير العربي في الفكر اللغوي ليهود الأندلس كتاب "اللمع" أنموذجاً، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثالث عشر، ربيع 1392هـ، 2013م: 14، 57.

الدَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ﴾ {الحجر:9} ، وحفظ القرآن الكريم يقتضي حفظ اللغة التي نزل بها بجميع لهجاتها، وهو الأمر الذي لم يكن لأي كتاب مقدس آخر بما في ذلك التوراة. ولعل غياب ظاهرة الإعراب من اللغة العبرية كان سبباً من أسباب انحسارها في حدود جغرافية ضيقة مع قلة عدد الناطقين بها إذا ما قورنت باللغة العربية، في حين نجد هذه الظاهرة كاملة في اللغة العربية بل هي من أبرز ظواهرها اللغوية، ولا يبعد أن تكون هذه الظاهرة موجودة كاملة في اللغة الأم التي انحدرت منها مجموعة اللغات الجزرية "السامية" فتخففت منها أكثر اللغات المنتمية إلى هذه المجموعة وبقيت هذه الظاهرة كاملة في اللغة العربية، وهو مما يميز اللغة العربية ويعطيها سعة في التعبير ودقة في المعنى؛ ولذلك الجملة في اللغة العبرية أكثر بساطة من الجملة في اللغة العربية. والأمر معكوس في ما يخص الحركات بين اللغة العربية والعبرية، فإن الحركات في اللغة العربية هي غاية في البساطة إذ يكون عددها ثلاث حركات، هي: "الكسرة والضمة والفتحة"، في حين يبلغ عددها في العبرية اثنتي عشرة حركة¹.

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 57.

المبحث الثالث

كتاب "اللّمع" وأهميته في الدراسات المقارنة

لكتاب "اللّمع" في اللغة العبرية أهمية كبيرة تضاهي أهمية كتاب سيبويه في اللغة العربية، بل إن كتاب "اللّمع" مبنيٌّ ومؤسس على غرار كتاب سيبويه، كما وردت الإشارة إلى هذا الأمر في كتابه¹، وكما هو واضح من المنهج الذي سار عليه ابن جناح في تأليفه كتاب "اللّمع"، ومعنى "اللّمع" كما قال ابن جناح: (وسمّيت هذا الجزء لكثرة فنونه "اللّمع"، تشبيهاً لأبوابه باللّمع من الأرض، وهي مواضع يكون فيها أنواع مختلفة من الزهر؛ أخذ من التلميع في الثوب الذي يكون من ألوان شتى)². ولا أشك أن ابن جناح قد استوحى تسمية كتابه هذا وفكرته ومنهجه وعلله من كتاب ابن جني "اللّمع في العربية"، وهو كتاب في النحو والصرف، الذي عمد فيه ابن جني إلى تلخيص قواعد الإعراب وعلوم اللغة، وهو عبارة عن متن يدرسه الطلاب على أيدي معلمهم، يحتوي الكتاب على ستة وستين باباً، منها واحد وستون باباً في النحو، وخمسة أبواب في الصرف. تتناول أبواب الصرف مواضع مثل جمع التكسير، والنسب، والتصغير، وألفات القطع والوصل، والإمالة، ويتميز الكتاب بالاختصار والتركيز على القواعد الأساسية، مع ذكر الشواهد من القرآن الكريم والشعر، وربما أمثلة نثرية، دون الخوض في العلل النحوية أو الخلافات بين النحاة. ويلتزم ابن جني في كتابه بنهج المتقدمين في ترتيب الأبواب³.

ويعد كتاب "اللّمع" من أهم المصادر والكتب التي عُنيت بالدراسات اللغوية المقارنة، وفي وقت مبكر جداً قياساً لما كان عليه الأمر في الدراسات اللسانية الحديثة، فالكتاب وإن كان معنياً باللغة العبرية وقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية فقد كانت اللغة العربية حاضرة في ذهن ابن جناح ولم تفارقه في كل جزئية من جزئياتها، ذلك فضلاً عن استعانه بشواهد من اللغة العربية حينما تعرّض عليه الشواهد من اللغة العبرية، فيقول: (وما لم أجد عليه شاهداً مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي لم أتحرج من الاستشهاد بوضحه، ولم أتحرج من الاستدلال بظاهره كما يتحرج من ضعف علمه وقلّ تمييزه من أهل زماننا، ولا سيما من استشعر منهم النقشف وارتدى بالدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور، ... وقد رأيت الأوائل وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على غريب لغتنا

¹ - يُنظر اللّمع: 64/1. ولابن جني كتاب "اللّمع في العربية" وهو كتاب في النحو والصرف. يهدف الكتاب إلى تلخيص قواعد الإعراب وعلوم اللغة، وهو عبارة عن متن يدرسه الطلاب على أيدي معلمهم، يحتوي الكتاب على ستة وستين باباً، منها واحد وستون باباً في النحو، وخمسة أبواب في الصرف. تتناول أبواب الصرف مواضع مثل جمع التكسير، والنسب، والتصغير، وألفات القطع والوصل، والإمالة، ويتميز الكتاب بالاختصار والتركيز على القواعد الأساسية، مع ذكر الشواهد من القرآن الكريم والشعر، وربما أمثلة نثرية، دون الخوض في العلل النحوية أو الخلافات بين النحاة. ويلتزم ابن جني في كتابه بنهج المتقدمين في ترتيب الأبواب.

² - يُنظر اللّمع: 64/1.

³ - ينظر كتاب "اللّمع في العربية" لابن جني.

بما جانسه من غيرها اللغات، فتراهم يفسرون كتاب الله - يعني التوراة - من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والأفريقي وغيرها من الألسن، فلما رأينا هذا منهم لم نتحرّج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقا ومجانساً له من اللساني العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا. وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته، فهو في جميع ذلك أقرب إلى لساننا من غيره من الألسن، يعلم ذلك من العبرانيين الراسخون في علم لسان العرب، النافذون فيه وما أقلهم¹.

وقال في موضع آخر: (فلو أن هؤلاء القوم -يعني أبناء جلدته الذين يعيرون عليه الاستشهاد بكلام العرب وبعض تحليلاته اللغوية التي استقاها من علماء العربية - يعلمون من مجازات اللغات واستعمالاتها ما علمناه، لما أنكروا لما جوزناه. ولجهل كثير من الناس، ممن لا يطلع على علم لسان العرب، بما يجوزونه في لغتهم من المجازات والاستعارات، ووضع الشيء في موضعه، وغير ذلك كثير من استعمالهم مما يستعمل العبرانيون في لسانهم، مثل ذلك أيضاً تراني عندما أبين استعمالاً ما من استعمالات العبرانيين كثيراً ما أقول: "وقد صنعت العرب مثل ذلك في قولهم كذا وكذا": لأري الأغمار ذلك فلا يستوحشون مما تستجيزه العبرانيون)².

وقال في موضع آخر: (ولا تظننّ بي أنني إنما أستشهد بكلام العرب وبمذاهبهم في لغاتهم في كتابي هذا وفي غيره من كتبي على سبيل التأييد بها لمذهبي في مذاهب العبرانيين واستعمالاتهم، بل لأري الأغمار وغيرهم من المتعاقلين الذين يظنون بنفوسهم المعرفة وهم أعرا منها، أن هذا الذي أجزيه في العبراني هو جائز أيضاً في غيره من اللغات)³.

وقال في موضع آخر: (ولا تتكرّر حذفهم - يعني العبرانيين - بعض الكلمة... فإن الكلمة إذا جرت على ألسنتهم كثيراً يخففونها. وقد يفعل غير العبرانيين أيضاً مثل هذا، كما قالت العرب "المنّا" مكان "المنايا" ومكان "المنازل" فحذفت. وقد يحذفون أكثر من هذا حتى إنهم لقد يستجرون من الكلمة بذكر أول شبهه منها، حكى ذلك عنهم سيبويههم وأنشد لبعضهم:

بالخير خيرات وإن شراً فإ
ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد وإن شراً فشرّاً، فاستجزأ بالفاء فقط، وأراد بقوله "إلا أن تا" إلا أن تريد، فاستجزأ بالتاء فقط)⁴.

¹ - يُنظر للمع: 51/1.

² - للمع: 59/1.

³ - للمع: 434/2.

⁴ - للمع: 510/2.

ويمكننا القول إن ابن جناح قد استعار كل ما أبدعه علماء العربية - وخاصة سيبويه (ت: 180هـ) والمبرد (ت: 285هـ) وابن جني (ت: 392هـ) - منهجاً ومضموناً ومصطلحاً، وطبقه على اللغة العبرية، حتى إن المتأمل في كثير من كلامه يجده هو هو في العربية.

ويفهم من عبارة ابن جناح: (لم نتحرّج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقاً ومجانساً له من اللساني العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا) أنه بحكم اتقانه للغة العربية والعبرية والسريانية والآرامية قد أدرك في ذلك الوقت المبكر القرابة اللغوية بين اللغة العربية والعبرية والسريانية مما يدل على عمق فقهه وتبحره في لسانيات هذه اللغات، ومعرفته بمدى القرابة بينها، كما يدل على قدرته على المقايسة بين هذه اللغات المتقاربة وغيرها من اللغات غير المتقاربة من اللسان اليوناني والفارسي والأفريقي، على نحو ما كان من ابن جني (ت: 392هـ - 1002م) ومقايسته بين اللهجات واللغات، ولا سيما أنهما قد تعاصرا غير أن ابن جني في المشرق "في بغداد" وابن جناح في المغرب "الأندلس"، فلا يبعد أن يكون ابن جناح قد اطلع على كتب ابن جني وانتفع منها، فعلى الرغم من تباعد المسافات بينهما كان شغف علماء المغرب بعلوم المشرق كبيراً مما جعلهم وثيقي الاتصال بكل جديد فتراهم يتربصون لكل ما ينتجه أهل المشرق فتتلقفه عقولهم قبل أيديهم، وربما حاولوا أن يجعلوا لكل بارقة علم في المشرق نظيراً لها في المغرب.

وهنا تجدر الإشارة إلى أمر مهم ما دمنا بصدد الحديث عن تأثير اللغويين والنحويين اليهود بالنحو العربي، إذ من الملاحظ أن الحواضر التي تشكل نقطة التقاء حضارات متنوعة وثقافات مختلفة وديانات شتى بيدع علماء هذه الحواضر في الفكر عموماً وعلوم اللسان خصوصاً على نحو ما كان في مدينة البصرة مؤسّسة علوم اللسان العربي ومشيدة صرحه العظيم، إذ هي نقطة التقاء بلاد النهد والسند والصين ببلاد العرب، وكذلك الأمر في بلاد الأندلس فقد شكلت نقطة التقاء بين عالم الغرب في أوروبا فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإنجلترا وبين من وفد إليها من المشرق من العرب العدنانيين والقحطانيين والأفارقة والأمازيغ. ولا يشكل ذلك منقصة لأي من هذه الحضارات والثقافات، ولا سيما في عصر الخلافة الإسلامية فقد عاش الجميع في ظل هذه الدولة بأمن وازدهار وهناء عيش ورغيد حياة؛ لذلك اشترك الجميع في بناء الحضارة الإسلامية، بل إن اليهود تسنّ لهم من الحرية والعلم والفكر والطمأنينة في ظل الدولة الإسلامية سواء أكانوا في المشرق أم في المغرب ما لم يتسنّ لهم في أي دولة أو بقعة جغرافية أخرى على مر التاريخ، ولم يتفطنوا إلى تدوين لغة كتابهم المقدس "التوراة" وتقعيدتها إلا في كنف الدولة الإسلامية؛ لما نعيموا به من أمان وحرية فكر وديانة.

إنّ من شأن المجتمعات المنغلقة التي تعيش في عزلة ثم تخرج من عزلتها وتحك بالمجتمعات الأخرى أن تتأثر وتؤثر بها، وتضع كثيراً مما كانت تظنه من المسلمات في موضع الاختبار والتحميص والمقارنة بما عند الآخرين من سلبيات وإيجابيات. ولا سيما المجتمعات التي تتسم بالضعف والوهن فهي مرشحة لاتباع سنن الغالب كما السنة في ذلك فالشعوب المغلوبة مجبولة على تقليد سنن الشعوب الغالبة

واتباعها. وأسباب التأثير والتأثير كثيرة فقد تكون أسباباً دينية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية أو تجارية وقد تكون بسبب الجوار، وقد اجتمعت هذه الأسباب كلها في الفتح الإسلامي للبلاد التي دخلها ولا سيما بلاد الأندلس إسبانيا اليوم.

والأمر نفسه ينطبق على القبائل العربية حين خرجت من عزلتها في شبه الجزيرة العربية واحتكت بشعوب العالم بما شرفها الله به من حمل رسالة الدين الإسلامي إلى شعوب العالم كافة. وإلى اليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين نجد كثيراً من الأمم تتبع غيرها وتتأثر بها لما تلك الأمم من سطوة علمية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية.

أبواب كتاب "اللمع" لمروان بن جراح القرطبي:

بلغت أبواب كتاب "اللمع" 45 باباً، وقد شملت أغلب الأبواب الصوتية والنحوية والصرفية في اللغة العبرية، وقد سار ابن جراح في أبواب كتابه كلها على طريقة علماء العربية في تناول موضوعات الصوت والصرف والنحو، وقد قدم الكلام على الحروف والأصوات ومخارجها وصفاتها على أبواب النحو والصرف معللاً فعله هذا بقوله: (ولما كانت حروف المعجم عناصر أصناف الكلام أعني: الأسماء والأفعال والحروف، رأينا أن نذكرها وأن نذكر مخارجها)¹. كما اعتمد طريقة الخليل في تحديد مخرج الحرف وصفته وذلك بقوله: (واعلم أنك إذا أردت أن تسبر الأحرف في مخارجها ومدارجها فوجه العمل في ذلك أن تفتح فاك بالهمزة تستظهر الحرف الذي تريد سبره، مثال ذلك أنك إذا أردت معرفة مخرج العين قلت: أع، وإن أردت معرفة مخرج الباء قلت: أب، وإن أردت معرفة مخرج القاف قلت: أق، وإن أردت معرفة مخرج السين قلت: أس، وإن أردت معرفة مخرج اللام قلت: أل)².

كما أنه اتبع طريقة علماء العربية في جمع الحروف الأصلية والحروف الزائدة في عبارات موجزة ليسهل على طلبة العلم حفظها على نحو قولهم في اختصار حروف الزيادة وجمعها في عبارة "سألتمونيها" أو "أمان وتسهيل"، قال ابن مروان: (وقد جمع الحروف الأصلية والحروف الخدمية - يعني بها الحروف الزائدة - كثير من المصنفين قبلي في كلمات نظموا فيها، منهم من أهل المشرق، ومنهم من أهل بلدنا الأندلس، فجعلوا لكل ضرب منها علامة ليسهل على المتعلمين تحفظها، وواحد ممن جمعها من أهل بلدنا، وهو مناحيم بن سروق، فإنه جمع حروف الأصل على: "حط، سفر، جزع، صدق: سن قاطع، كتاب، جذع، عدل"، وجمع حروف الزيادة على "شمالكتوينه"... وقد كنت أزعمت الاختصار على هاتين العلامتين غير أنه رغب إلي بعض الأحداث في استنباط سيمنين آخرين لها فاستسهلت ذلك دون

¹ - اللمع: 74/1.

² - اللمع: 78/1.

اعتقاد أنني أتى بغريب فيهما فجمعت حروف الأصل على "طقس، عز، جد، حف، صر: طقس، ماعز، حظ، نقى، ضيق"، وجمعت حروف الزيادة على: "شلومي إك تبته: سلامي، لكن، تبني"¹. إن الناظر والمتأمل لكلام مروان بن جناح في كتابه "اللمع" يدرك بما با يدع مجالاً للشك أنه قد وظّف كل ما اطلع عليه مما جادت به عقول علماء العربية على اللغة العبرية فلا يكاد يذكر قاعدة أو نظرية إلا وكانت هي إياها في اللغة العربية، وليس ذلك في مسائل الصوت والصرف والتركييب فحسب وإنما يتعدى الأمر إلى مسائل في علم اللغة وفقهاها، على نحو ما ذكره في قضية المعرب والدخيل في اللغة العبرية إذ نراه يتبنى رأي علماء العربية في ذلك حينما دار الجدل حول وجود ألفاظ في القرآن الكريم ليست من العربية، وقد عدّت من العربية لأن العرب قبل الإسلام قد تكلمت بها أشداقهم ولاكتها أسنتهم فلم تعد في عرفهم ألفاظاً أعجمية أو دخيلة²، فيقول ابن جناح في حديثه عن أبيية الخماسي في العبرية: (فإن قال إنها ألفاظ فارسية فإنه ولو كانت كذلك لم نحملها إلا محمل الألفاظ العبرانية؛ لأنهم قد تكلموا بها، ولا محالة أنهم قد عبّروها وصرفوها على صيغ أمثلتهم، وما كانوا ليدخلوا في أمثلتهم ما لا يجوز عندهم، أعني أنه لو كان كما زعم الزاعم للزمهم أن يحذفوها ويردّوها إلى مجاز لغتهم بتحريفهم إياها عما كانت عليه في اللغة الفارسية. ولا سيما أن هذا المذهب يجب أن يكون عاماً لجميع اللغات؛ لأنها جميعها مبنية على الحكمة والصواب، وإن كان بعضها يفضل بعضاً في ذلك)³.

وهو في كل حديثه في هذه الأبواب يقارن ويُقايِس الظواهر الموجودة في اللغة العبرية بنظيراتها في اللغة العربية ويستعين باللغة العربية ومصطلحاتها لشرح ظواهر اللغة العبرية⁴، وإن لم يجد شاهداً من اللغة العبرية على الظاهرة اللغوية استعان بشواهد اللغة العربية للاستشهاد للمسألة كما صرح بذلك مراراً، ولم يلتفت للمؤاخذة التي وُجّهت له من معاصريه لنحوه هذا النحو معللاً ذلك بالتشابه الكبير بين اللغتين وبأن اللسان العربي هو من أقرب الألسن للغة العبرية بعد اللغة السريانية، يُضاف إلى ذلك أن اللغة العربية أصبحت في ذلك الزمن هي لغة العلم والثقافة والتداول اليومي ولغة التأليف لدى كبار

¹ - ينظر اللمع (بتصرف): 89 - 90.

² - ينظر أقوال علماء العربية في ذلك كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" لأبي منصور الجواليقي (ت: 540هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم، ط: 1، دمشق، دار القلم، 1990م. والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سمير حسين حليبي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1408هـ - 1988م، ط: 1.

³ - اللمع: 1/ 210.

⁴ - ينظر كأنموذج لذلك كلامه في الباب الثالث عشر "باب عام في التصريف بإيجاز"، إذ يكاد يكون كلام ابن مروان مطابقاً لما هو موجود في كتب الصرف في اللغة العربية سواء أكان ذلك على مستوى المصطلحات أو تقسيماته للفعل أو طريقة شرحه للمادة العلمية، لكن التطبيقات كانت على كلمات، اللغة العبرية، 1/ 281 - 363، وينظر أيضاً كلامه في الباب السادس عشر عن "الضمانر" 2/ 381 - 407، فقد جاء كلامه مطابقاً لحديث علماء العربية عن الضمانر بكل تفصيلاته.

علماء اليهود، فهي مألوفة لدى الجميع بقوانينها وتراكيبها وأصواتها، وهي محط إعجاب كبير لدى الجميع، وكذلك الجهود اللغوية العظيمة التي قام بها المسلمون على اختلاف أجناسهم لخدمة لغة القرآن الكريم ولغة دينهم هي محط إعجاب كبير أيضاً، ولا أحسب هذا العمل وهذه الجهود إلا توفيقاً وتسخييراً من الله عز وجل لهذه الأمة كي تكون قدوة لغيرها من الأمم.

فمن ذلك ما ذكره ابن مروان في الباب الرابع عشر من كتابه "اللمع" فيما يعرض للأفعال والأسماء التي تدخلها حروف الحلق إذ قال: (فعل العبرانيون ذلك لثلاً يختلف الفعل المستقبل، أعني لأن يكون فعل الجميع مبنية على فعل الواحد مساوياً له لا فرق بينهما... وهذا من فعل العبرانيين، واستعمالهم مجانس لفعل العرب في قولهم: وَعَدَ يَعِدُ، وَزَنَ يَزِنُ، وَجَدَ يَجِدُ، فحذفوا الواوات التي هي فاءات الأفعال المستقبلية لوقوعها بين ياء وكسر استثقلاً منهم لذلك. هذا هو اعتلال علمائهم فيها. ثم إنهم حذفوا الواوات أيضاً وما أشبهها من سائر الأفعال المستقبلية، وإن لم تكن فيها العلة الموجبة لسقوطها في "يفعل"، أعني وقوعها بين ياء وكسر، وذلك قولهم: أَعَدُ وَنَعِدُ وَتَعِدُ، وَأَزَنُ وَبَزَنُ وَتَزَنُ، وَأَجِدُ وَنَجِدُ وَتَجِدُ، وليس لذلك علة عندهم غير عاداتهم ألتاً يختلف الباب وأن يكون المضارع كله تابعاً للياء، هذا قولهم واعتلالهم فيه واحتجاجهم عليه. وقد استعملوا مثل هذا وشبهه في غير هذا الضرب)¹.

وقال أيضاً في حديثه عن الضمائر في الباب "السادس عشر": (وإذا تأخر ذكر الفاعلين من الفعل المستقبل ظهر ضميرهم في ذلك الفعل على سبيل البيان، وكان الاسم الظاهر بعد الضمير بدلاً من ذلك الضمير كما كان في الماضي... وأعلم أنه جائز أن يقال إنها ليست ضمائر لكن علامات للتثنية والجمع ... وإذا اعتقد هذا فلا يكون في فعل الواحد المتقدم ضمير مستتر وكلا القولين جائزان عندنا وعند علماء النحو العربي فيما جرى في كلامهم هذا المجرى)².

وأبواب كتاب "اللمع" كما أوردها ابن جناح هي كما يأتي⁴:

- الباب الأول: تحدث فيه عن أقسام الكلام في العبرية والعربية، فيقسمه إلى: اسم وفعل وحرف، على نحو ما فعله سيبويه في كتابه.
- الباب الثاني: تحدث فيه عن الحروف في اللغة العبرية فقسمها على حسب مخارجها في النطق، على المبدأ الذي سار عليه الخليل في معجم العين.

¹ - اللمع: 345/1.

² - يعني بذلك نحو ما جاء في قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۚ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (3) ﴿ {الأنبياء}، فقد اجتمع الضمير في الفعل "أسروا" مع ذكر الفاعل "الذين ظلموا".

³ - اللمع: 386/2.

⁴ - ينظر في الحديث عما تضمنته هذه الأبواب كتاب "اللمع".

- الباب الثالث: تحدث فيه عن أصول الأسماء والأفعال والحروف.
- الباب الرابع: تحدث فيه عن الحروف الأصلية والزائدة.
- الباب الخامس: تحدث فيه عن معاني حروف الزيادة.
- الباب السادس: وهو خاص بالحروف التي تُبدل بغيرها، والتي تكون على الخصوص في حروف اللين.
- الباب السابع: وهو خاص بإبدال الحركات بعضها من بعض.
- الباب الثامن: وهو خاص بالحديث عن البديل، فذكر أن العبرانيين قد يبدلون الشيء بالشيء وهما لعين واحدة.
- الباب التاسع: وهو خاص بأبنية الأسماء المزيدة وغير المزيدة، والمشتقة وغير المشتقة.
- الباب العاشر: هو خاص في معرفة الأبنية وتقطيعها بالأفعال، أي الصيغ المقصودة بكلمة "فعل".
- الباب الحادي عشر: ويذكر فيه أبنية الأسماء الرباعية والمشتقة على أصول أربعة، وهي تقرب من 26 وزناً.
- الباب الثاني عشر: وهو خاص بصيغ الأسماء الخماسية أو ذات الأصول الخمسة.
- الباب الثالث عشر: وهو خاص بالأفعال وقسمها إلى أفعال مجردة ومزيدة، ومتعدية بنفسها إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومتعدية بحرف جرٍّ وغير متعدية.
- الباب الرابع عشر: وهو خاص بالأفعال والأسماء التي تدخلها حروف الحلق، والحركات المختلفة التي تحرك بها هذه الحروف.
- الباب الخامس عشر: وهو خاص بتعدي الأفعال والمصادر بنفسها أو بحرف جر.
- الباب السادس عشر: وهو خاص بالضمائر وأنواعها وأقسامها المستترة والظاهرة والمتصلة والمنفصلة.
- الباب السابع عشر: وهو خاص بأحكام حرف العطف الواو وحركتها.
- الباب الثامن عشر: وتحدث فيه عن الإضافة وقسمها إلى إضافة لفظية وأخرى معنوية.
- الباب التاسع عشر: تحدث فيه عن الاتصال والانفصال، والاسم الذي ينصرف والذي لا ينصرف.
- الباب العشرون: تحدث فيه عن الإضافة والنسبة إلى الجد وإلى القبيلة والبلد.
- الباب الحادي والعشرون: تحدث فيه عن الإدغام ومعناه وأين يجب.
- الباب الثاني والعشرون: وهو خاص بما اختير فيه الإظهار على الإدغام، والإتمام على النقصان.
- الباب الثالث والعشرون: وهو خاص بالجمع والتنثية.
- الباب الرابع والعشرون: تحدث فيه عن الحذف.
- الباب الخامس والعشرون: تحدث فيه عن التأكيد المعنوي.
- الباب السادس والعشرون: تحدث فيه عن التأكيد اللفظي.
- الباب السابع والعشرون: تحدث فيه عن اللفظ المراد به غيره ويعني به "الكناية".

- الباب الثامن والعشرون: تحدث فيه عن المفرد المراد به الجمع.
 - الباب التاسع والعشرون: تحدث فيه عن ألفاظ شاذة عن القياس.
 - الباب الثلاثون: تحدث فيه عن "الشذوذ" ويريد به الشذوذ عن القياس أو الاستعمال.
 - الباب الحادي والثلاثون: تحدث فيه عن "القلب".
 - الباب الثاني والثلاثون: تحدث فيه عن "التقديم والتأخير".
 - الباب الثالث والثلاثون: تحدث فيه عن حمل الكلام على الأقصى لا على الأدنى.
 - الباب الرابع والثلاثون: تحدث فيه عن حروف الاستفهام ومعانيها واختصاص كل منها.
 - الباب الخامس والثلاثون: وذكر فيه أحكام هاء الاستفهام والحركات التي تحرك بها إذا كان بعدها حرف حلقي.
 - الباب السادس والثلاثون: وهو خاص بالمعرفة والنكرة.
 - الباب السابع والثلاثون: وهو خاص بالتذكير والتأنيث.
 - الباب الثامن والثلاثون: تحدث فيه عن حمل المؤنث على المذكر.
 - الباب التاسع والثلاثون: تحدث فيه عن حمل المذكر على المؤنث.
 - الباب الأربعون: وهو خاص بما جاء بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.
 - الباب الحادي والأربعون: تحدث فيه عما أنشؤه تأنيث القصة أو الحال أو الكلمة أو الجماعة.
 - الباب الثاني والأربعون: تحدث فيه هاء الضمير المؤنث الغائب.
 - الباب الثالث والأربعون: وهو خاص بـ"العدد".
 - الباب الرابع والأربعون: وهو خاص بتعريف "العدد".
 - الباب الخامس والأربعون: وهو خاص في بعض الشذوذ في إثبات الهاء في عدد المؤنث.
- إن ابن جناح بعمله هذا في كتاب "اللمع" وتتبعه سُنن العربية في تقعيد لغتهم وتدوينها من حيث شعر أو لم يشعر يكون قد وقع على درجة التقارب الكبيرة بين اللغة العبرية والعربية، مما يؤدي رجوعهما إلى أصل واحد ولا سيما أنهما ينتميان إلى الرقعة الجغرافية نفسها وهي شبه الجزيرة العربية. والسؤال هنا: لو لم يكن مروان بن جناح قد وقف على دقائق علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها كيف كان سيكون حال اللغة العبرية سواء أكان ذلك على مستوى الاستعمال اليومي أو على مستوى الدراسة اللغوية المنهجية للصوت والصرف والتركييب.

إن مروان ابن جناح وعلماء اليهود الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية سواء أكانوا في المشرق أم في المغرب والأندلس لم يكونوا مفكرين مبدعين في الدراسات اللسانية، وإنما كانوا مقلدين لما وجدوه عند علماء العربية فاتبعوا آثارهم حذو القُذَّة بالقُذَّة وَحَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ¹.

قال ابن خلدون (ت: 808هـ) مؤسس علم الاجتماع في مقدمته في "الفصل الثالث والعشرون" (في أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب" في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الافتداء، أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحلت من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأول. ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله. وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم.

وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجحران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله. وتأمل في هذا سر قولهم: العامة على دين الملك، فإنه من بابه، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم. والله العليم الحكيم، وبه سبحانه وتعالى التوفيق)².

¹ - حذو القذة بالقذة، وذلك كما يقدر باري السهام الريش التي يركبها عليها حتى يكون بعضها مساوياً بعضاً، متحاذيات غير مختلفات بالاعوجاج.

² - ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: 1، دار يعرب، دمشق: 2004م: 284/1، ويُعد ابن خلدون أول من درس نشوء الأمم وتفككها على وفق رؤية كاملة شملت النظم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية.

المبحث الرابع

صناعة المعجم العبري وتأثره بالمعجم العربي

لم يقتصر تأثير اللغة العربية وعلومها على علم اللغة العبري على قضايا النحو فحسب وإنما شمل ذلك القضايا اللغوية على مستوى الصوت والصرف، والمعجم، والأدب نثره، وشعره.

اختراع الحركات والتنقيط في نظام الكتابة العبرية:

بعد وقوف علماء اليهود واطلاعهم على الإبداع اللغوي العربي الذي كان بدافع خدمة القرآن الكريم نشأ عندهم نظام الحركات والنبرات وعلامات التنقيط ونقط الحروف، وقد عُرف هؤلاء العلماء باسم "رجال الماسورة"، وعُرف عملهم بـ"الماسورة"، وقد تعاقبت أجيال منهم على هذا العمل، وكان أول من بدأ هذا العمل هارون بن هشير الذي كان متأثراً بالنحو العربي، فألف كتاباً في النبرات الذي اشتمل على بعض المسائل النحوية كما تكلم فيه عن نظام الحركات وأقسام الكلام إلى أسماء وأفعال وضمائر وصفات، وتحدث عن الصدر والعجز من حروف الأصول¹.

أول معجم للغة العبرية:

كان أول معجم للغة العبرية مكتوب باللغة العربية من تأليف سعيد بن يوسف الفيومي (ت: 279هـ - 942م)، وهو أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبرية² رتبه ترتيباً أليفاً في جزأين، رتب في الأول الكلمات ترتيباً أليفاً بالنسبة لأوائها ورتب في الثاني الكلمات بالنسبة لحروفها النهائية. كذلك ألف كتاباً آخر في اللغة في اثني عشر جزءاً سماه "كتاب اللغة" كتبه باللغة العربية، ويُعد أول مؤلف منظم في قواعد اللغة العبرية عالج فيه الأبجدية العبرية وخواص حروف الحلق وإبدال الحروف، وإدغامها، وتصريف الأفعال، والأسماء. وقد اعترف مؤلفه بتأثره باللغويين العرب من ناحية الفكرة والخطة والمنهج إذ كان بين ظهرانيهم في بغداد وقد وقف على مؤلفات اللغويين والنحويين العرب وإبداعاتهم في مجال اللغة.

ثم جاء بعده مناحيم بن ساروق الطرطوشي (ت: 960م) ليؤلف أول معجم مكتوب باللغة العبرية، وقد غطى مناحيم في معجمه هذا جميع مفردات الكتاب المقدس³. وسماه "محبرت" أي: الكراسة، فكان أول من استعمل اللغة العبرية لمعالجة علم اللغة العبرية، في حين كان معاصروه

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 6.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 8.

³ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 10.

كأمثال سَعْدِيَا الفَيُومِي ويهوذا بن قريش يستعملون اللغة العربية، وقد شمل هذا المعجم الناحية اللغوية الكاملة للكتاب المقدس، وقدم له بمقدمة طويلة عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة المشرق، وقد قسم مناحيم كتابه إلى طبقتين، هما¹:

- الأولى: تشتمل على الحروف التي تستعمل كحروف أصلية وزيادات في الصدر والعجز.
 - الثانية: للتمييز بين الحروف الأصول والزوائد.
- كما اهتم مناحيم بنظرية اشتقاق الأسماء من الأفعال.

وألف مروان بن جناح كتابه "التتقيح" باللغة العربية لكن بحروف عبرية، وقد قسمه إلى قسمين، الأول منهما "اللمع" وهو قسم خاص بقواعد النحو والصرف، والثاني منهما "الأصول" وهو معجم كامل للغة الكتاب المقدس وضعه على مثال معجم مناحيم بن ساروق الطرطوشي. وواضح من تسمية هذين الجزأين مدى تأثر مروان القرطبي باللغة العربية وما كتب بها ولا يخفى أن عناوانات كتبه هي عناوانات لما كتب في العربية خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية، وكتابه "التتقيح" هو محاكاة لكتاب الجوهرى (ت: 393هـ) "تتقيح الصحاح"، ومن هذا يتبين لنا مدى إعجاب ابن جناح القرطبي وتمكنه من علوم العربية مما حدا به أن ينهج نهج علماء العربية في تقعيد اللغة العبرية فبنى كتابه على أمات الكتب المعتمدة في اللغة العربية.

تأثر الأدب العبري بالأدب العربي "النثر والشعر":

لم يقتصر تأثر علماء اللغة اليهود باللغة العربية في ما يتعلق بالنحو والصرف والبلاغة والقضايا اللغوية الأخرى فحسب، وإنما كان تأثرهم بالشعر العربي أيضاً، إذ لم يكن لهم عهد بالوزن والقافية وإنما كان شعرهم يقوم على النبرة والنغمة والصيغ الموسيقية، فاستعاروا من الشعر العربي مصطلحات: الوزن والقافية والبيت والشطر والوتر²، كما كانت موضوعات أشعارهم موضوعات دينية بحتة، وفي حدود القرن العاشر الميلادي وهو قرن طفرتهم العلمية واللغوية في بلاد الأندلس بحكم تأثرهم بعلوم العربية وعلمائها، صار شعرهم بعد اطلاهم على أشعار العرب مقفًى وموزوناً وذلك على يد العالم النحوي اليهودي "دوناش بن لبرط"³، كما تعددت عندهم الموضوعات فخرجت عن إطارها الديني البحت إلى موضوعات أخرى، نحو: المدح والثناء والغزل ووصف الطبيعة والخمر. فكان تأثرهم بالشعر العربي شكلاً وفكراً وموضوعاً ومضموناً⁴.

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 10.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 80.

³ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 79.

⁴ - يُنظر قنديل، عبد الرزاق أحمد، المقامة العبرية بين التأثر والتأثير، مركز دراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، ع 12، 2005م، ص: 14.

قال الدكتور إسرائيل ولفنسون: (إن الأدب الإسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشاً عظيماً ونهض نهضة قوية واتجه اتجاهاً جديداً في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ومصر والعراق فقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلدون العرب في الشعر فاقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري ووزن عبري ثم انطلقوا ينشدون المقاطيع والقصائد حتى أثرت العبرية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيه كثير من اليهود، ومن أشهر هؤلاء الشعراء يهودا هالوى وابن جبيرول وموسى بن عزرا وهم من يهود الأندلس.

وكذلك ظهرت أساليب جديدة في النثر العبري الفلسفي والتشريعي إذ كان تأثر بالأساليب العربية واقتبس اليهود فيه كثيراً من الاصطلاحات والألفاظ العربية)¹.

كما كان تأثرهم بأنواع الأدب الأخرى أيضاً، نحو تأثرهم بمقامات الحريري فقد ألف يهودا الحريزي (ت: 1225م) وهو كاتب وشاعر يهودي ضليع باللغتين العربية والعبرية مقاماته التي أطلق عليها اسم "تحكموني"، التي التزم فيها بالنهج العربي لكتابة المقامة العربية²، وذلك بعد أن ترجم مقامات الحريري إلى اللغة العبرية، التي عُرفت في ما بعد باسم "ايثيل"، فجعل يهودا مقاماته في خمسين فصلاً، واختار لها شخصيتين تقوم عليها المقامات كما فعل الحريري في مقاماته إذ جعلها في خمسين مقامة واختار لها شخصيتين هما: الحارث بن همام وأبو زيد السروجي³.

يقول يهودا الحريزي: (إن شعبنا بعد جلائهم من أرض كنعان، قد قطن الكثيرون منهم مع بني يعرب في أوطانهم، وألفوا التحدث بلغتهم والتفكير بتفكيرهم، وبامتزاجهم بهم تعلموا منهم صناعة الشعر، وحين كان آبائنا يقطنون في مدينة القدس ما كانوا يعرفون الشعر الموزون في اللغة العبرية)⁴.

علماء اللغة العبرية والدراسات اللغوية المقارنة:

بعد استعراض جهود اللغويين اليهود في تدوين لغتهم وتقعيدها أسوة بما فعله علماء اللغة العربية، يمكننا أن نقول إن بوادر الدراسات اللغوية المقارنة كانت قد بدأت بوقت مبكر جداً على أيدي علماء اللغة العبرية اليهود نهاية القرن التاسع الميلادي "القرن الثالث الهجري" إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي "القرن السادس الهجري"، فكانت بين لغتين تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة هما: اللغة العربية واللغة العبرية، وكانت دوافع هذه الدراسة المقارنة دوافع دينية بحتة، إذ تقوم دراسة كلتا اللغتين

¹ - تاريخ اللغات السامية: 98.

² - 15. المقامة العبرية بين التأثير والتأثير: 19.

³ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 128.

⁴ - المكونات العربية في الشعر العبري الأنديلسي، موسى بن عزرا نموذجا، 43 - 44.

على أساس خدمة لغة الكتب المقدسة التي كتبت بها تعاليم هذه الديانات عند المسلمين وعند اليهود ودراستها، وهذا السبب قد أعطى للموضوع أهمية كبيرة لهاتين اللغتين الضاربتين في القدم. وقد اشتهر علماء لغة يهود بتسليط الضوء على الأوجه المتناظرة والمتشابهة بين هاتين اللغتين، ومن هؤلاء العلماء: يهوذا بن قريش (ت: القرن 10م): الذي عاش في القرن التاسع الميلادي في شمال أفريقيا في الجزائر، وكان عمل يهوذا منصباً في فقه اللغة المقارن، فقارن العبرية بالأرامية والعربية، وكان الحافز له على هذه الدراسات إثبات القرابة بين هذه اللغات، وهو بعمله هذا يعد أول باحث في فقه اللغة المقارن، وقد ألف كتاباً سماه "الصّلات" ويقصد بذلك الصلات القائمة بين اللغات الثلاث، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام، يحتوي الأولان على قوائم للكلمات العبرية التي لها صلات أو قرابات بالأرامية، بينما خصص الجزء الثالث للكلمات التي لها صلات بالعربية¹.

ومن هؤلاء أيضاً دوناش بن تميم وبسمى بالعربية (ت: القرن 10م): وهو من العلماء المعاصرين ليهودا بن قريش في شمال أفريقيا، ألف كتاباً خليطاً من العبرية والعربية تعرض فيه للصلة بين العربية والعبرية، وقد أحصى الكلمات العربية الفصيحة التي توجد في اللغة العبرية، وكان غرضه من هذا إثبات القرابة بين اللغتين².

ومن هؤلاء أيضاً أبو زكريا يهوذا بن داود حيّوج (ت: 1000م): فهو مؤسس منهجية الدراسات النحوية العبرية، وقد وضع نحواً علمياً منظماً لمعظم أجزاء اللغة العبرية، وكانت مؤلفاته باللغة العربية، وهي³:

- كتاب (الأفعال ذوات حروف اللين).
- كتاب (الأفعال ذوات المثلين).
- كتاب (التقييط)⁴.

ولو أتينا إلى مروان بن جناح وكتابه "اللمع" فإننا نكون قد وصلنا إلى الغاية في ذلك إذ يعد كتاب "اللمع" من أهم المصادر والكتب التي عُنيت بالدراسات اللغوية المقارنة، وفي وقت مبكر جداً قياساً لما كان عليه الأمر في الدراسات اللسانية الحديثة وعنايتها بالدراسات المقارنة كما أسلفنا في بداية هذا البحث، فالكتاب وإن كان معنياً باللغة العبرية وقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية فقد كانت اللغة العربية حاضرة في ذهن ابن جناح ولم تفارقه في كل جزئية من جزئياتها، ذلك فضلاً عن استعانتها بشواهد من اللغة العربية حينما تعرّض عليه الشواهد من اللغة العبرية، فيقول: (وقد رأيت الأوائل

¹ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 9.

² - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 9.

³ - ينظر الأثر العربي في الفكر اليهودي: 13، وينظر كتاب اللمع: 12.

⁴ - ينظر كتاب اللمع (الهامش رقم: 5): 12.

وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على غريب لغتنا بما جانسه من غيرها اللغات، فتراهم يفسرون كتاب الله - يعني التوراة - من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والأفريقي وغيرها من الألسن، فلما رأينا هذا منهم لم نتحرج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقا ومجانساً له من اللساني العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا¹.

وقال في موضع آخر: (ولا تظننّ بي أنني إنما أستشهد بكلام العرب وبمذاهبهم في لغاتهم في كتابي هذا وفي غيره من كتبي على سبيل التأييد بها لمذهبي في مذاهب العبرانيين واستعمالاتهم، بل لأري الأغمار وغيرهم من المتعاقلين الذين يظنون بنفوسهم المعرفة وهم أعرا منها، أن هذا الذي أجيّزه في العبراني هو جائز أيضاً في غيره من اللغات)².

وقال في موضع آخر: (وقد يفعل غير العبرانيين أيضاً مثل هذا، كما قالت العرب "المنّا" مكان "المنايا" ومكان "المنازل" فحذفت. وقد يحذفون أكثر من هذا حتى إنهم لقد يستجزئون من الكلمة بذكر أول شبهه منها، حكى ذلك عنهم سيبيويه)³.

ويفهم من عبارة ابن جناح: (لم نتحرج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقا ومجانساً له من اللساني العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا) أنه بحكم اتقانه للغة العربية والعبرية والسريانية والآرامية قد أدرك في ذلك الوقت المبكر القرابة اللغوية بين اللغة العربية والعبرية والآرامية والسريانية مما يدل على عمق فقهه وتبحره في لسانيات هذه اللغات، ومعرفته بمدى القرابة بينها.

ويعدّ عمل هؤلاء العلماء اليهود خطوة متقدمة في الدراسات اللغوية المقارنة ولا سيما اهتمامهم وتصريحهم بصلاة القرابة القوية بين العربية والعبرية والآرامية والسريانية، إذ ساهمت هذه الدراسات في الوقوف على كثير من أسرار هذه اللغات وإعطاء تصور قريب عن اللغة الأم التي يمكن أن تكون قد انحدرت منها هذه اللغات في منطقة شبه الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الأهمية التي صارت تحتلها الدراسات اللسانية المقارنة في الدرس اللساني الحديث.

¹ - يُنظر اللّمع: 51/1.

² - اللّمع: 434/2.

³ - اللّمع: 510/2.

النتائج

1. إن عمل النحاة اليهود في اللغة العبرية ولا سيما تطبيقاتها على الكتاب المقدس "العهد القديم" والتلمود هو استتساخ لما قام به علماء العربية نحاة ولغويين خدمة للقرآن الكريم. وذلك شيء لا يضيرهم فمن الخير أنهم أدركوا أهمية ذلك في ذلك الوقت.
2. سعى علماء اليهود بشكل حثيث ولا سيما في بلاد الأندلس لإثبات القرابة بين اللغة العبرية واللغة العربية لما كانت تمثله اللغة العربية من مكانة فكرية وحضارية عالمية، وذلك على نحو ما كان من يهوذا بن قريش و دوناش بن تميم وإبراهيم بن عزرا.
3. إن عمل النحاة اليهود في محاكاة ما قام به علماء اللغة العربية يُعد خطوة متقدمة في الدراسات اللغوية المقارنة التي شهدتها العالم، ولا سيما اهتمامهم وتصريحهم بصلاة القرابة القوية بين العربية، والعبرية، والسريانية، والآرامية.
4. ساهمت الدراسات اللغوية التي قم بها علماء اليهود خلال القرون الإسلامية الأولى في الوقوف على كثير من أسرار هذه اللغات وإعطاء تصور قريب عن اللغة الأم التي انحدرت منها اللغات في منطقة شبه الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الأهمية التي صارت تحتلها الدراسات اللسانية المقارنة في الدرس اللساني الحديث.
5. ليس أدل على تأثر اللغة العبرية بعلوم اللغة العربية من إن مؤلفات اليهود اللغوية والنحوية كانت تكتب وقتئذ باللغة العربية. إذ كان علماءهم في أثناء القرون الأربعة الهجرية الأولى يكتبون ويؤلفون علومهم العبرية باللغة العربية - لغة الحضارة والثقافة والدولة في ذلك العصر - مقلدين لعلماء العربية سواء أكان ذلك في المنهج أم في استعمال المصطلحات أم المادة العلمية وتقسيمها.
6. إن دوافع هذه الدراسة المقارنة بين اللغة العربية والعبرية كانت دوافع دينية بالدرجة الأولى، إذ تقوم دراسة كلتا اللغتين على أساس دراسة لغة الكتب المقدسة التي كتبت بها تعاليم هذه الديانات عند المسلمين وعند اليهود ودراستها، وهذا السبب أعطى للموضوع أهمية كبيرة لهاتين اللغتين الضاربتين في القدم.
7. بينت هذه الدراسة المقارنة مدى تأثير اللغة العربية باللغة العبرية على مستوى التدوين والتفكير اللغوي عند علماء اللغة العبرية.
8. لم يقتصر تأثير اللغة العربية وعلومها على علم اللغة العبري على قضايا النحو فحسب وإنما شمل ذلك القضايا اللغوية على مستوى الصوت والصرف، والمعجم، والأدب نثره، وشعره.
9. من الممكن جداً أن تكون المعارف اللغوية والنحوية العربية التي نضجت في الأندلس وأخذها عنهم علماء اللغة اليهود قد انتقلت إلى ممالك أوروبا الأخرى، نحو: إيطاليا وفرنسا وإنجلترا.

المصادر والمراجع

1. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت: 438هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، ط: 2، 1417 هـ - 1997م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: 1، دار يعرب، دمشق: 2004م.
3. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: 3، - 1414 هـ.
5. أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت: ٥٧٧ هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ب - ت.
6. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 2001م.
7. الأزهرى، محمد بن أحمد بن الهروي أبو منصور (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1، 2001م.
8. بني بكر، عبد القادر، وشفاء الربابعة، ورانيا سعيقان، وديما الرضي، أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى وتأثيرها بها، مركز أبو ظبي للغة العربية، ط: 2022م.
9. بوكيل، أمينة، المكونات العربية في الشعر الأندلسي، موسى بن عزرا أنموذجاً، مجلة حوليات التراث، ع 13، 2013م.
10. الجواليقي، أبو منصور (ت: 540هـ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: الدكتورف. عبد الرحيم، ط: 1، دمشق، دار القلم، 1990م.
11. الحاج صالح، عبد الرحمن، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقف للنشر، الجزائر، 2012.
12. حسن، محمد خليفة، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، إصدار مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، كلية الدراسات الإسلامية جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، ط: 1، 2013.
13. رشيد، كفاح صابر، النحو العربي في علم النحو العبري، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 19، ع 2، 2012م.

14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت: 911هـ)، المذهب فيما وقع في القرآن من العرب، تحقيق: سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1408هـ - 1988م، ط: 1.
15. الشامي، رشاد، خصائص اللغة العبرية القديمة: القديمة - الوسيطة - الحديثة، القاهرة 1978م.
16. شحلان، أحمد، دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية، ندوات أكاديمية، المملكة المغربية، أكادير، 1985.
17. صفية، وحيد، التأثير العربي في الفكر اللغوي ليهود الأندلس (كتاب "اللمع" أنموذجاً)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثالث عشر، ربيع 1392هـ، 2013م.
18. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
19. القرطبي، مروان بن جناح للنحوي اليهودي الأندلسي (ت: 1050م)، اللُّمع، قلب حرفه إلى اللغة العربية ونقحه وقدم له د. مولاي المأمون المريني، الناشر: مؤسسة آفاق، 2021، المغرب.
20. قنديل، عبد الرزاق أحمد، المقامة العبرية بين التأثير والتأثير، مركز دراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، ع 12، 2005م، ص: 14.
21. هنداوي، إبراهيم موسى، الأثر العربي في الفكر اليهودي، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1963.
22. ولفنسون، إسرائيل "تاريخ اللغات السامية، الناشر دار كُنَاشة النوادر، ط: 1، ب. ت.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818

البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.81	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي